# الصراع الأزلي

## بين الإنسان والشيطان

د. سيف صفاء عبدالكريم الدوري

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

# الصراع الأزلي

## بين الإنسان والشيطان

تأليف

الدكتور

سيف صفاء عبد الكريم الدوري

العراق

٢٠١٥م ١٤٣٦هـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفيه:

الفصل الأول: مفهوم الشيطان لغة واصطلاحاً

الفصل الثاني: الصراع بين الإنسان والشيطان

الفصل الثالث: وسائل الخلاص من هذا الصراع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

# الفصل الأول

## الشيطان لغة واصطلاحاً

### الفرع الأول: . الشيطان وابليس لغة:

اختلف في معنى الشيطان من ناحية اللغة بناءا على الاختلاف في اشتقاقه وأصالة النون في بناءه، فقال قوم إنه مشتق من (شطن ) بمعنى بعد عن الحق فهو من شطنه يشطنه شطنا إذا خالفه عن وجهته ونيته وشطت الدار بعدت والشاطن الخبيث وتشيطن الرجل إذا صار كالشيطان وفعل فعله ومنه الشيطنة التي هي مرتبة كلية عامة لمظاهر الإسم المضل، وعلى هذا الاشتقاق تكون كلمة شيطان على وزن ( فيعال ) والنون فيه أصلية[1]. وقال قوم آخرون إن الشيطان مأخوذ من الفعل ( شاط ) بمعنى احترق من الغضب فهو من شاط يشيط وتشيط إذا لفحته النار فاحترق أو هلك مثل هيمان وغيمان من هام وغام وعلى هذا الاشتقاق يكون على وزن فعلان والنون فيه زائدة[2]. والقول الأول هو الأرجح أي اشتقاقه من ( شطن ) وذلك لأنها أقرب الى وصف أعمال الشيطان التي تهدف إلى إبعاد الناس عن عمل الخير واتباع الحق ( لأن اشتقاق الشيطان من شطن بمعنى بعد عن الخير ومال عن الحق أقرب الى الحقيقة من اشتقاقه من شاط بمعنى احترق ذلك أن عمل الشيطان هو ابعاد الناس عن الحق والذي يبعد الناس عن الحق والخير يكون هو بعيدا عنه ) [3].

ولابد ونحن بصدد تعريف الشيطان من ناحية اللغة أن نقف على تعريف ابليس من ناحية اللغة أيضا ذلك ان بعض الناس يتصور ان ابليس والشيطان بمعنى واحد فوجب التمييز من ناحية اللغة، ذهب قوم من أهل الغة الى أن إبليس مشتق من أبلس الرجل إذا انقطع ولم تكن له حجة وأبلس الرجل قطع به وأبلس أيضا سكت وأبلس من رحمة الله يئس والإبلاس الحزن المعترض من شدة البأس وقد استخدم العرب هذه المعاني فقالوا ناقة مبلاس إذا كانت لا ترغوا من الخوف وفلان أبلس إذا سكت من شدة الخوف[4].

والقرآن الكريم استخدم هذه المعاني اللغوية لكلمة أبلس، فقال تعالى {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ

---

[1]) ينظر قاموس العين . الفراهيدي ج٦ ص ٢٣٦، واساس البلاغة ص٣٢٩، القاموس المحيط ج١ ص٨٧٠، والمصباح المنير ج١ ص٣١٣، والمعجم الوسيط ج١ ص ٤٨٣، وتهذيب اللغة ج١١ ص٢١٣، وجمهرة اللغة ج٢ ص ٨٦٧، ومختار الصحاح ص ١٤٢.

[2]) ينظر مقاييس اللغة ج٣ ص ١٨٤ . ١٨٥، ولسان العرب ج١٧ ص١٠٥، والمفردات . الراغب الاصفهاني ص ٢٦١.

[3]) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن . د. عودة خليل ابو عودة . مكتبة المنار . الاردن ص ٤٧٨.

[4]) ينظر مقاييس اللغة ج١ ص ٢٩٩ . ٣٠٠، والمفردات . الراغب الاصفهاني ص ٦٠، وينظر التبيان في تفسير غريب القرآن . شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري . دار الصحابة للطباعة ط١ ١٩٩٢ م ج١ ص ٧٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الْمُجْرِمُونَ }[1] وقال تعالى {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ }[2]. وذهب قوم آخرون الى أن ابليس اسم أعجمي الأصل ممنوع من الصرف[3]. وذهب بعض الدارسين الى أنها كلمة يونانية الأصل هي ( ديا بولس ) جرى عليها بعض التغيير والتحريف حتى صارت كذلك[4]. أقول على الرغم من ذلك فإنها كلمة عربية الاشتقاق والقرآن الكريم كما أشرنا آنفا قد استعملها بهذا الاشتقاق اللغوي والقول بأنها ليست عربية تمحل في غير محله ودعوى لا دليل عليها فنقول إنها عربية الاشتقاق وأنها مشتقة من أبلس الرجل إذا انقطع. إذن هذا معنى الشيطان وإبليس من ناحية اللغة والآن نحاول أن نعرفهما من ناحية الاصطلاح.

## الفرع الثاني: . الشيطان وابليس اصطلاحا:

يطلق الشيطان من ناحية الاصطلاح على كل متمرد من الجن والانس والدواب[5]. فبناءا على هذا التعريف يصبح مفهوم الشيطان صفة يمكن أن يتصف بها أي أمرئ يسلك طريق الشر والشيطنة فكثير من الناس نراهم ويروننا نعاملهم ويعاملوننا هم في ظاهرهم من الإنس ولكنهم في حقيقة الأمر تصرفاتهم وأفكارهم ومكائدهم وأخلاقهم يكونون من مردة الشياطين الذين قد يعجز عن مكائدهم وحبائلهم إبليس نفسه. أما ابليس فهو علم على مخلوق خلقه الله عزوجل من النار وجعله في عداد الملائكة وقام بعمله ما شاء الله أن يقوم ثم نازع ربه الكبرياء والعظمة فاستكبر عن طاعته وعصى ربه فطرده من رحمته ومن وظيفته فهبط الى الأرض وأصبحت الشيطنة صفة له[6].

وإبليس له ذرية بصريح القرآن الكريم قال تعالى { أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي }[7]. فابليس من الجن المخلوقين من نار السموم وانه ليرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم. وقد فسق عن أمر ربه وهو رأس الشياطين والمتمرد وجمعه أباليس وأبالسة[8]. إذن ابليس هو الاسم العلم لهذا المخلوق المتمرد

---

[1] الروم: ١٢.

[2] الأنعام: ٤٤.

[3] ينظر القاموس المحيط ج١ ص ٦٨٧، والمعجم الوسيط ج١ ص٣، والمفردات . الاصفهاني ص٦٠.

[4] ينظر ابليس . عباس محمود العقاد . نشر المكتبة العصرية . صيدا . بيروت . ص٤٧.

[5] ينظر المفردات، الاصفهاني ص٢٦١، وينظر روح المعاني . الالوسي ج١ ص١٥٧، وقد نسب الآلوسي هذا التعريف لابن عباس ( رضي الله عنهما ).

[6] ينظر جامع البيان . الطبري ج١ ص ٢٢٦، والمفردات . الاصفهاني ص٦٠، وينظر شواهد في الاعجاز القرآني . د. عودة أبو عودة ص٢٢٧.

[7] الكهف: ٥٠.

[8] ينظر المعجم الوسيط ج١ ص٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والشيطان صفة له ولغيره. بقيت قضية مهمة هي إن هناك نصوص ذكرت أن ابليس من الملائكة كقوله تعالى {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى }[1] ونصوص أخرى ذكرت أنه من الجن كقوله تعالى {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ }[2]. فكيف يكون ابليس من الملائكة ومن الجن في الوقت نفسه؟ وما العلاقة بينه وبين الشيطان؟ أقول إن ابليس من الملائكة إذ أمر بالسجود معهم وهو من الجن بنص القرآن الكريم. وليس في الأمر غرابة عندما نعلم أن ابليس كان في الملائكة وليس من جنسهم بل هو من الجن وهم جنس من الخلق خلقه الله من نار، وخلق الملائكة من نور فأبليس من الملائكة بطاعته وعبادته في البداية ومن الجن نسبا وأصلا[3]. إذا وضح ذلك فلا داعي للخلاف الذي أثاره العلماء حول هذه المسألة[4] إذ لا فائدة وراءه.

أما الاجابة عن الشطر الثاني من السؤال عن الصلة بين الشيطان وابليس هو أن الشيطان صفة يتصف بها أي امرئ يعمل عمله، وقد وصف الله عزوجل بها ابليس حتى التصقت به فصار الناس يظنون أنها خاصة به ولكن آيات القرآن الكريم بينت أن ابليس غير الشيطان وأن الشيطان صفة لابليس قال تعالى{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ۞ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ۞ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[5].فلو نظرنا الى جملة( فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ) لأوحت لنا بصفات إبليس أي أزلهما إبليس بكيده وتزيينه ووسوسته ومثل ذلك ورد في آيات سورة طه فبعد أن أمر الله عزوجل ابليس ان يسجد لآدم واستكبر ابليس عن طاعة الله عزوجل حذر الله آدم منه، وأمره أن يتخذه عدوا حتى لا يخرجه من الجنة {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى } [6] فابليس هو الوسواس، وهو الشيطان ولكنه ليس وحده الشيطان بل هناك شياطين كثر من الانس والجن يعملون عمله ويهتدون بسنته ويسلكون طريقه طريق الشيطنة فهل أدركنا الصلة بين ابليس والشيطان؟

---

[1]) طه: ١١٦.

[2]) الكهف: ٥٠.

[3]) ينظر التفسير الكبير . الرازي ج٢ ص٢١٥، وتفسير الخازن ج٤ ص٣٣٨، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . مجد الدين الفيروز آبادي . تحقيق محمد علي النجار . دار احياء التراث الاسلامي . القاهرة . ج ٢ ص ١٥٤، وغرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة . للقاضي بدر الدين عبد الله الشلبي . تحقيق إبراهيم احمد الحمد . مطبعة ديانا ١٩٨٨ . ص ٣٤.

[4]) ينظر في ذلك جامع البيان . الطبري ج١ ص ٢٢٤، وتفسير القرآن العظيم . ابن كثير ج١ ص ٧٧.

[5]) البقرة: ٣٤ . ٣٦.

[6]) طه: ١٢٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

## الفرع الثالث:. ابليس والشيطان في القرآن الكريم:

ورد ذكر ابليس في القرآن الكريم في احدى عشرة آية من آيات القرآن الكريم[1]. بينما ورد ذكر الشيطان على جهة الافراد والجمع في ثمان وثمانين آية[2]. والقرآن وهو يستعمل هذين اللفظين يعطي لكل لفظ دلالته، فنرى النصوص التي تحدثت عن ابليس تذكر ابليس على أنه علم لذلك المتمرد الذي عصى ربه وتذكر الطبيعة التي خلق منها. قال تعالى{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى } [3] و قال تعالى {ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ } [4] وقال تعالى {إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ } [5] وفي بيان أصل خلقته قال تعالى {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً} [6].

أما النصوص التي ذكرت الشيطان فذكرته على أنه وصف لابليس ووصفت به كذلك كل من سلك مسلكه كما أشرنا في أثناء التفريق بين ابليس والشيطان والنصوص حذرت من الشيطان وعداوته لبني آدم ومداخله على بني آدم. فالنصوص التي تحدثت عن الشيطان كان الحديث فيها مركزا على العموم على كل من سلك طريق الشيطنة سواء أكان اللفظ على جهة الافراد أو الجمع. قال تعالى {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ } [7] وقال تعالى { كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ } [8] وقال تعالى {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } [9] و قال تعالى {وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاء قَرِيناً} [10] وعلى جهة الجمع قال تعالى {وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ } [11]و قال تعالى {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ} [12]وقال تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً

---

[1] ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبد الباقي ص ١٣٤.

[2] المصدر نفسه ص ٣٨٢ . ٣٨٣.

[3] البقرة: ٣٤.

[4] الأعراف: ١١.

[5] الحجر: ٣١.

[6] الكهف: ٥٠.

[7] البقرة: ٣٦.

[8] البقرة: ١٦٨.

[9] آل عمران: ٣٦.

[10] النساء: ٣٨.

[11] البقرة: ١٠٢.

[12] الأنعام: ٧١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ} [1] و قال تعالى {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ} [2] و قال تعالى {إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ }[3] وهكذا الكثير من النصوص الأخرى التي بينت حقيقة الشيطان وحذرتنا منه وأمرتنا في استفراغ الجهد لمعاداته وبينت أنه عدو لدود[4].

وتحسن الاشارة . هنا . الى الاستعمال الخاطئ لمصطلح الشيطان عند الناس . بحيث لم يعد بمقدور المسلم العادي أن يتخذ موقفا واقعيا محسوسا من الشياطين وأضاليلهم، وصار محرجا للمسلم المثقف أن يتطرق لمناقشة عمل الشياطين وآثارها لما يرى في ذلك من امكانية الوقوع في شرك الخرافة أو الاتهام بالتفكير الخرافي. إن القرآن كما لاحظنا يطلق لفظ . الشيطان . على المنشط أي المنحرف الضال من قصد وإصرار[5]، والشيطان في القرآن كما لاحظنا من النصوص السابقة وغيرها قسمان: الأول؛ هو الشيطان الجني الذي لايرى ولا يسمع من البشر العاديين متمثلا في ابليس وذريته وقد ذكر القرآن هذا النوع في معرض تعريفه بعناصر الوجود المحيط وتفاعل الانسان معها، ويخبر أن هذا الشيطان الجني ضعيف الكيد والتدبير وان عمله في الغالب . بين بني جنسه. والنوع الثاني؛ هو الشيطان الأنسي الذي ينشطن . أي ينحرف عن قصد وإصرار. عن منهج الله ويتبنى منهاجا مضادا في الفكر والسلوك ويجعل من الانحراف والضلال فكرا صائبا وعملا صالحا وانجازا حضاريا متقدما ثم يكرس حياته وجهوده للدعوة الى هذا الانحراف والضلال وإشاعتهما وهذا هو المعنى بالصراع مع الانسان في محاولة صرفه عن الطريق القويم ان عداوة الشيطان التي بينها القرآن لنا تتركز على شياطين الانس أكثر من شياطين الجن وهذا ما أكده الحديث النبوي أيضا فعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ( يا أبا ذر تعوذ من شياطين الانس والجن، فقلت: وللإنس شياطين؟ قال: ( نعم شر من شياطين الجن ) )[6].إذن التركيز الصحيح هو على شياطين الانس لأن هذا التصور الذي قدمه القرآن الكريم والحديث النبوي للشيطان سيجعل هناك شيطان الفكر وشيطان التربية وشيطان الثقافة وشيطان الآداب وشيطان الفنون وشيطان الإعلام وشيطان الإباحية وشيطان الأزياء ومن أحب أحدا من هؤلاء الشياطين أو قلده فهو ولي له وهم أولياء له باعتبار ان لكل هؤلاء اهتمامات مشتركة تعمل في الاتجاه المضاد للإسلام واخلاقياته[7]. هذا الفهم للشيطان هو الذي

---

[1] الأنعام: ١١٢.

[2] الأنعام: ١٢١.

[3] الأعراف:٢٧.

[4] ينظر روح المعاني ج١٥ ص٩٤، والسنن الالهية في الحياة الانسانية . د. شريف الشيخ صالح ج١ ص١٢١.

[5] ينظر جامع البيان . الطبري . ج١ ص٤٩، وتفسير ابن كثير ج١ ص٥٢.

[6] أخرجه أحمد في مسنده ج٥ ص١٧٨، والنسائي في الصغرى ج٨ ص ٢٧٥ كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من شر شياطين الجن والانس.

[7] ينظر أهداف التربية الاسلامية . د. ماجد عرسان الكيلاني . مؤسسة الريان . بيروت . لبنان . ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م ص

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ينبغي أن يسود وعلى ضوئه يجب تصحيح المفاهيم التي سادت في عصور الجمود والاستبداد والتي انحرفت في فهم الشيطان وغاصت في الغيبيات بحثا عن شياطين الجن التي لا ترى ولا يحس لها أثر وأشغلت تفكير الناس بذلك حتى انتهت بكثير منهم الى الوسوسة والجنون لذلك يجب أن نعيد تصحيح مفاهيمنا على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ما الحكمة من عد شياطين الإنس شر من شياطين الجن كما يقرر الحديث النبوي الذي مر ذكره؟ الجواب: هو ما يوجه اليه قوله تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ۞ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۞ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ } [1]، إن القراءة ممارسة فكرية ينبغي أن يسبقها ابتعاد عن كل المفاهيم الضالة والمشككة حول النص القرآني فالشيطان الجني مخلوق خفي لا فاعلية له الاّ في بيئات الظلم والفساد والفاحشة التي تسهل عمله على ايقاع البشر في المعاصي تماما كما لا تعمل الجراثيم والفايروسات الا في بيئات التلوث والقذارة التي تيسر لها التكاثر والفتك بالأصحاء. لذلك لا سلطان للشيطان في بيئات الايمان بالله وتطبيقاته النظيفة، وإنما سلطانه حين (يتولاه) المنشطئون من البشر و ( يشركون ) به و ( يؤمنون ) بالضلال الذي يريده، و(يهاجرون ) الى تطبيقات هذا الضلال و ( يجاهدون ) لتلويث البيئة العامة بهذه الفواحش، و ( يؤون ) روادها ويسبغون عليهم المال والجاه والمكانة الوظيفية، ويجتهدون في نصرتها وحراستها[2]. هل علمنا الآن لماذا كان شياطين الإنس أشر من شياطين الجن؟ إذن هذا الفهم هو الذي ينبغي أن يسود حول الشيطان وبقيت قضية أرى من الضروري أن أشير اليها وهي ذات صلة بما سبق الحديث عنه، هذه القضية متمثلة في أن أمتنا الاسلامية في زمانها الجديد قد بليت بأبناء يحملون رايات التنوير وينتسب بعضهم الى علوم الدين، ممن حاولوا التوفيق بين الاسلام وبين أوضاع مختلفات من افرازات الحضارة الأوربية الحديثة والمعاصرة، في مجال الأفكار والفلسفات كما في مجال العلوم والتجارب. وكان المنحنى الأبرز في ذلك الجهد، هو محاولة ( عقلنة الدلالات الاسلامية ) حسب ظن هؤلاء وفهمهم، ومن ثم أتوا على الكثير من المعاني الاسلامية الكبرى، مما ثبت في كتاب الله أو سنة رسوله، ليحاولوا تأويلها تأويلا، متعنتا لكي يضفوا على دلالتها معاني ( عقلانية ) تستسيغها الحضارة الحديثة[3].

---

.٣٤٨ . ٣٤٩.

[1] ) النحل: ٩٨ . ١٠٠.

[2] ) ينظر أهداف التربية الاسلامية . د. ماجد عرسان الكيلاني . ص٣٥٠.

[3] ) من هؤلاء صادق جلال العظم في كتابه نقد الفكر الديني . طبعة دار الطليعة للطباعة والنشر . بيروت ص ٨١ وما بعدها فقد كان متجرأً في التهجم على العقلية المسلمة والتشكيك بثوابتها ذلك أنه اسمى فصلا من كتابه الذي ملأه بالتهجم . على ثوابت الدين أسماه مأساة ابليس وأظهر ابليس كأنه ضحية الطاعة للأمر الالهي وليس التمرد عليه وملئ كتابه بهرطقات باطلة لا يقوم عليها دليل سوى نقول من مقالات باطنية إن هؤلاء يلتقون جميعا في

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وعلى الرغم من الخطأ المبدئي في هذا المنحنى أعني ( الانحراف الشرعي ) في التعامل مع نص الوحي، الاّ أن الأمر الذي نشير اليه في هذا السياق إن هذا المنحى الجديد قد أضر بالإسلام وقضيته على صعيد الواقع الدعوي ولم يحقق أدنى فائدة مما زعموها لوجهتهم الجديدة، فقد باعد هذا المنحى التفسيري بين العقل الاسلامي وبين مدركات دينه الصحيحة. في حين لم يقرب العقل الأوربي خطوة من مدارات الوحي الإلهي والإسلام وكان الحديث عن ( الشيطان في القرآن الكريم أحد الوجوه التطبيقية لهذا المنحى التفسيري المنحرف، حيث راح بعضهم ينكر وجوده بطريق غير مباشر. عن طريق وصفه بأنه ( رمز معنوي ) لقوى الشر )[1] وآخرون قالوا: ( هو تعبير عن وساوس النفس ) وغير ذلك من بدع الفكر وطرائف التأويل التي لا تليق بحال . بمجال البحث والتعرف على كتاب الله وأصول الديانة. وكان من مآلات هذا التفسير المنحرف ما سبق أن ذكرناه قبل أسطر من أن خف احتفاء بعض المسلمين بمسألة ( الشيطان ) وأصبحت دلالات آية جليلة مثل قول الحق تعالى {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً}[2]. أصبحت مشوشة وغير مفهومة والأكثر خطورة أنها غير ذات مردود عملي في سلوك المسلم، مما أورث ويورث المزالق والمهالك والمنكرات، لأن احساس المسلم بحقيقة وجود الشيطان، يجعل معنى ( الصراع ) معه حافزا لصموده أمام الفتن والشهوات وطرائق الباطل فإذا غاب هذا الاحساس غاب ادراك معنى الصراع وغاب معه أو ضعف الصمود أمام هذه المكائد الشيطانية. إن الفاظ القرآن الكريم ذات دلالات محددة ومفاهيم واضحة لاتلد شيئا من هذه الصور الغريبة التي ولدها منها أصحاب الشطحات الخيالية مدعي التعقل في الفهم، والاسلام في بناءه للعقلية المسلمة قد راعى بناء مفاهيم الالفاظ قال تعالى {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }[3] وفي صحيح البخاري ان الرسول ﷺ قال لأحد أصحابه، وهو البراء بن عازب وهو يعلمه دعاء النوم (( آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت )) فقال البراء ورسولك الذي أرسلت فقال النبي الكريم ﷺ قل ونبيك الذي أرسلت )[4]. وهذه ليست أخطر مما نحن بصدده من تحريف للكثير من دلالات المفاهيم الاسلامية بدعوى التعقل والعقلانية إنها والله الفوضوية والتملص من معاني هذا الدين ومدخل من مداخل الشيطان على هؤلاء العقلانيين. هذا ما أردت الاشارة اليه بين يدي

---

الدعوة الى عقلنة المصطلحات الاسلامية والانبهار بالحضارة الغربية وكأن من سبقونا لم يحملوا لواء العقلنة في فهمهم لنصوص القرآن الكريم، نعم لقد اصاب الأمة فترة من الركود والجمود ولكن ذلك لم يمنع أن تظل الدلالات القرآنية ثابتة وواضحة وبينة فليتهم عملوا عقولهم في العودة الى المصطلحات القرآنية الواضحة الدلالة لا الانبهار بالغرب والطعن بالعقل المسلم.

[1] ) ينظر تفسير المنار ج١ ص ٢٨١ . ٢٨٤.

[2] ) فاطر: ٦.

[3] ) فصلت: ٣.

[4] ) أخرجه البخاري كتاب الوضوء باب فضل من بات على الوضوء ج١ص٩٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذكر الشيطان في القرآن وسيتضح الأمر أكثر عند عرضنا لصور صراع الشيطان مع الانسان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

## الفرع الرابع:. الحكمة من جعل الشيطان عدوا للإنسان:

ما الحكمة من وراء جعل الشيطان بمختلف دلالاته عدوا للإنسان يؤزه أزا ويتربص به ويقعد له على طريقه القويم محاولا صرفه عنه.

يمكن أن نستنبط الحكم من ذلك على النحو الآتي: .

١. إبتلاء العباد واختبارهم: وهذه الحكمة واضحة لتمييز من يطيع الله ممن يعصيه ذلك ان الشيطان مثله مثل القوى الشهوية في الانسان ومثل ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي التي يمتحن الله بها عباده[١].

٢ـ اظهار قدرة الله تعالى في خلق المتضادات: لقد خلق الله في كونه الكثير من المتضادات التي فيها اظهار لقدرته سبحانه وتعالى خلق السماء والأرض والليل والنهار والداء والدواء والجنة والنار والخير والشر والشيطان الذي هو أخبث الذوات وسبب كل شر بمقابل جبريل عليه السلام الذي هو من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها ومثلا للخير ففي هذا اظهار لقدرة القادر وفيه اظهار لحسن الضدين فان الضد إنما يظهر حسنه بضده، فلولا القبيح لم تعرف فضيلة الجميل ولولا الفقر لم يعرف قدر الغنى ولولا الشر لم يعرف طريق الخير وفضله[٢].

٣ـ ظهور متعلقات أسماء الله تعالى: إن أسماء الله تعالى تستدعي متعلقات تظهر فيها أحكامها، كأسماء الله تعالى القهرية ( القهار والمنتقم، والضار والخافض والرافع )، فلهذه الأسماء كمالات لابد من وجود متعلقاتها، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء كذلك هو الحال في أسمائه تعالى التي تدل على حكمته، فاسم الحكيم يدل على أنه تعالى صاحب الحكمة لكمال علمه واتقانه كل شيء ويعد وجود ابليس والشيطان من تمام حكمته لذا يمكن القول أن من الحكم المترتبة على أخلق الشيطان هو ظهور متعلقات أسمائه جل شأنه[٣].

٤ـ ويمكن أن نظيف حكمة أخرى نستنبطها من خلال النصوص القرآنية هي أن في خلق الشيطان وتسليطه على الانسان ابراز واظهار لقدرات الانسان على المدافعة والتنبه، فلو لم يكن الشيطان مسلطا

---

[١] ينظر الكشاف . الزمخشري ج٢ ص٦٩، وتفسير البيضاوي ج٣ ص٧، وفتح القدير . الشوكاني ج٢ ص١٨٦.

[٢] ينظر شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل . . ابن قيم الجوزية تحقيق حسن عبد الله الحسان . دار التراث . القاهرة . ص ٣٢٤، وعالم الجن والشياطين . د. عمر سليمان الاشقر . دار الكتب العلمية . بيروت ط٢ ص ١٥٧، والعقائد الاسلامية . سيد سابق . دار الكتب العربي . بيروت ص١٥٥.

[٣] ينظر المصادر السابقة وينظر الآيات المتعلقة بالصراع بين الشيطان والانسان . رسالة ماجستير الى كلية العلوم الاسلامية . اعداد الطالبة نيكاز صلاح الدين عباس الجاف ص ٢٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على الانسان لما برزت دوافعه في القدرة على المدافعة والصد ولما شحذ ذهنه في التنبه ولتبلدة دوافعه كذلك فإن في هذا التسلط إظهار لمعنى اللجوء الى الله في الشدائد والملمات قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـائِفٌ مِّـنَ الشَّـيْطَانِ تَـذَكَّرُواْ فَـإِذَا هُـم مُّبْصِـرُونَ }[1]. تلك بعض الحكم لخلق الشيطان وتسليطه على الانسان والله اعلم وأحكم فيما يخلق ويريد!

[1]) الأعراف:٢٠١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

# الفصل الثاني

# صور الصراع بين الانسان والشيطان

## المطلب الأول

## بدايات هذا الصراع

بدأت قصة الصراع بين الانسان والشيطان في الجنة وتستمر في الأرض الى يوم القيامة بدأت مع خلق أول إنسان واستمرت في ذريته من بعده. فما سر هذا الصراع وما هي بذوره وجذوره؟ وكيف نفهم أبعاده؟ لقد صور القرآن الكريم بداية هذا الصراع بأبلغ عبارة اذ اظهر الشيطان ممثلا للباطل بكل أوصافه وخصائصه وأظهر آدم عليه السلام ممثلا للحق بكل أوصافه وخصائصه، والمدقق في العبارة القرآنية يجد أن الصراعات التي توالت بين الحق والباطل فيما بعد ما هي الاّ صدا وانعكاسا لهذا الصراع الأول بكل أبعاده وملامحه، فقد بذر ابليس عليه اللعنة بذرة التكبر والاستعلاء والغرور واتباع الهوى التي هي ابعاد الصراع بين الحق والباطل، وسن آدم عليه السلام طريق الاستقامة والثبات على الحق والأوبة بعد السقوط. إن قصة الصراع الأولى تمثل لنا نموذجين نموذج الباطل ونموذج الحق. ولنقف الآن على أبعاد هذا الصراع[1].قبل أن يخلق الله سبحانه آدم عليه السلام قال لملائكته { إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً }[2]. فهو سبحانه خلق آدم ليكون في الأرض لا في السماء. وعندما قالت الملائكة { أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء }[3] لم ينف سبحانه عن خليفة الأرض الفساد وسفك الدماء. وقال سبحانه { إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }[4]. فالانسان قبل ان يخلق قدّر الله أن تكون حركته على الأرض ولأن هذه الحركة لحكمة ومن وراء هذه الحكمة هدف أقام الله الحجة على هذه الحركة فإذا اقترف الانسان المعاصي وسفك الدماء: كانت الحجة شاهدا عليه[5]. ولكن ما هي هذه الحجة التي جعلها الله شاهدا على الانسان. إنها الفطرة ذلك أن حركة الانسان في هذه الحياة لا ينبغي أن تخرج عن دائرة العبادة لله سبحانه وتعالى قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

---

[1] سوف أقف في قصة آدم وابليس مع ابعاد الصراع وصوره ولن ادخل في تفاصيل لا تخدم البحث، كموقع الجنة وهيئة السجود وكيف دخل ابليس في الأمر مع الملائكة الى آخر ما هناك من قضايا حول القصة نجدها مفصلة في كتب التفسير وانما التركيز هنا ينصرف الى الصراع الأزلي بين الانسان والشيطان وهو البعد الأهم في القصة برأيي.

[2] البقرة: ٣٠

[3] البقرة: ٣٠

[4] البقرة: ٣٠

[5] ينظر الانحرافات الكبرى . القرى الظالمة في القرآن الكريم . سعيد أيوب . ط١ . ١٤١٢هـ ١٩٩٢م . دار الهادي . بيروت . لبنان ص ١٣، ١٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ }[1] فالمراد بخلقهم للعبادة، خلقهم على وجه صالح لأن يعبدوا الله بجعلهم ذوي اختيار وعقل واستطاعة والغرض من خلقهم تعريضهم للثواب وذلك لا يحصل الاّ بأداء العبادات[2]. ولما كان الانسان قد خلق من أجل العبادة وعلى طريق هذه العبادة توجد دوائر للإفساد وسفك الدماء هدفها عرقلة هذه العبادة. فأنه تعالى وضع أصول هذه العبادة في حصن الفطرة الحصين. ليعبر الانسان بفطرته السليمة تلك العقبات ويصل بعباداته الى حيث ينال الثواب. فالفطرة شعاع يهدي صاحبه الى طريق النجاة. والفطرة حجة بذاتها على الانسان تنطق عليه بالحق يوم يقف امام الله تعالى يوم القيامة ويقول له ({اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً }[3].

ومخزون الفطرة الحجة بذاته جاء ذكره في أكثر من موضع من كتاب الله منه قوله تعالى {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ۞ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ}[4].(أي أذكر للناس موطنا قبل الدنيا أخذ فيه ربك (مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ) فما من أحد منهم الاّ استقل من غيره وتميز منه فاجتمعوا هناك جميعا وهم فرادى فأراهم ذواتهم المتعلقة بربهم (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ) فلم يحتجبوا عنه. وعاينوا انه ربهم كما أن كل شيء بفطرته يجد ربه من نفسه من غير أن يحتجب عنه.( أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ) وهو خطاب حقيقي لهم لا بيان حال وتكليم إلهي لهم فانهم يفهمون مما يشاهدون إن الله سبحانه يريد به منهم الاعتراف واعطاء الموثق وقوله (أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) الخطاب للمخاطبين بقوله (أَلَسْتُ بِرَبِّكُم) القائلين (بَلَى شَهِدْنَا ) فهم هناك يعاينون الاشهاد والتكليم من الله والتكلم بالاعتراف من انفسهم وإن كانوا في نشأة الدنيا على غفلة مما عدا المعرفة بالاستدلال ثم اذا كان يوم البعث وانطوى بساط الدنيا وانمحت هذه الشواغل والحجب عادوا الى مشاهدتهم ومعاينتهم وذكروا ما جرى بينهم وبين ربهم )[5]. فهذا الميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالى من بني آدم جميعا هو مخزون الفطرة وهو حجة بذاته على الانسان في كل حركة له على الأرض وهو بعد هذا وذاك الكشاف الذي يهدي الى الطريق المستقيم ويجنب صاحبه الانزلاق الى طريق الافساد وسفك الدماء الذي لم ينف الله سبحانه وجوده عن الانسان عندما قالت الملائكة {أَتَجْعَلُ فِيهَا

---

[1]) الذاريات: ٥٦.٥٧.

[2]) ينظر التفسير الكبير . الرازي ج٢٨ ص ٢٠٠. ٢٠٢، والكشاف . الزمخشري ج٤ ص ٤٠٨ . ٤٠٩، وتفسير ابي السعود ج٨ ص ١٤٤، وروح المعاني . الآلوسي ج٢٧ ص٢٠.

[3]) الاسراء:١٤.

[4]) الأعراف:١٧٢. ١٧٣.

[5]) تفسير الميزان . السيد الطباطبائي . ج٨ ص٣٢٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء}.

إذن بعد هذه التقدمة يمكن لنا أن نفهم بذور الانحرافات الكبرى في قصة الصراع الأولى بين الانسان والشيطان. لم تظهر بذور الافساد وسفك الدماء الذي ذكرته الملائكة عندما خاطبهم الله بأنه جاعل في الأرض خليفة الاّ عندما أمر سبحانه الملائكة بالسجود لآدم. ففي هذا الوقت خط ابليس خط الانحراف الذي تنمو عليه بذور الافساد التي وضعها[1]. قال تعالى {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ۞ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ۞ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ۞ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ۞ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} [2]. لقد ذكرت الآية إن مبدأ خلق الانسان الطين وفي سورة الروم التراب قال تعالى {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ }[3] وفي سورة الحجر صلصال من حمأ مسنون قال تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ }[4]. وفي سورة الرحمن صلصال كالفخار قال تعالى {خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ }[5]ولا ضير فإنها أحوال مختلفة لمادته الأصلية التي منها خلق وقد أشير في كل موضع الى واحدة منها[6]. ثم جاء الأمر بالسجود لآدم[7] إذا سواه بتركيب أعضائه بعضها على بعض وتتميمها صورة إنسان تام

---

[1] ينظر الانحرافات الكبرى القرى الظالمة في القرآن الكريم . سعيد أيوب . ص ١٦. ١٧.

[2] ص: ٧١ . ٧٦، هذا وقد وردت قصة آدم وابليس مكررة في سبعة مواضع وفي سبع سور وهي حسب ترتيب نزولها ص الآيات ٧١ . ٨٥، الأعراف الآيات ٢٤.١١، طه الآيات ١١٥ . ١٢٣، الاسراء الآيات ٦١ . ٦٥، الحجر الآيات ٢٨ . ٤٢، الكهف الآية ٥٠، البقرة الآيات ٣٠ . ٣٩، ينظر الاتقان في علوم القرآن . السيوطي . المطبعة الازهرية . بمصر . ط٢ . ١٣٤٣هـ . ١٩٢٥م . ج١ . ص ٢٥، وتفسير الطبري . ج٩ . ص ١١٠، وتفسير القرطبي . ج٧ . ص ٣١٤.

[3] الروم:٢٠

[4] الحجر:٢٦.

[5] الرحمن:١٤.

[6] ينظر فتح القدير . الشوكاني ج٤ ص٤٤٤، وأضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن . الشنقيطي . دار الفكر . بيروت . ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥م . ج٤ ص ٢٥.

[7] اختلف العلماء في كيفية هذا السجود على اربعة اقوال ١. إنه مجرد الخضوع دون ايماء ولا انحناء ولا نحوهما وهذا يرجع الى احد معاني السجود اللغوية والمقصود اقرارهم لآدم بالفضل والقيام بمصالحه. ٢. الايماء والخضوع. ٣الانحناء المساوي للركوع ذلك بالكفي والتعظيم كسلام الاعاجم. ٤. إنه السجود المتعارف وهو وضع الجبهة بالأرض وعزاه القرطبي الى الجمهور وهو الصواب ولا يعكر عليه أن السجود في الشريعة الاسلامية محرم لأن ذلك خاص بآدم في العالم العلوي وليس ذلك ضمن التكاليف المنوطة بأهل الأرض فلا يقاس عليه ومما يدل على أن سجودهم كان على الجباه قوله تعالى (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ) الحجر: ٢٩، حيث أمرهم بالوقوع وهو السقوط ومن المرجحات لقول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونفخ فيه الروح[1]. وسجد الملائكة لأمر الله ولم يذكر أحد منهم أي علاقة بين الطين والنور فعندما أمروا بالسجود سجدوا. ولم يشذ في هذا المشهد المهيب سوى ابليس قال (أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ) لقد علل عدم سجوده بما يدعيه من شرافة ذاته وأنه لكونه خلقه من نار خير من آدم المخلوق من طين وكأنه بهذا التعليل يزعم أنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول ، يعني لعنه الله: وأنا خير منه فكيف تأمرني بالسجود له؟ ثم بين وجه هذه الخيرية بأنه خلق من نار، والنار أشرف من الطين الذي خلق منه آدم فنظر اللعين إلى أصل العنصر الذي خلق منه ولم ينظر الى التشريف العظيم الذي ناله آدم وهو إن الله تعالى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وقاس قياسا فاسدا في مقابلة نص قوله تعالى للملائكة(فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ) كما أنه لم ينظر لعنه الله لأمر من أمره بالسجود وهو الله جل جلاله ثم أن ابليس حتى في دعواه أن النار أشرف من الطين ادعاء غير صحيح، فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والتثبت، وهو محل النبات والنمو والزيادة، والنار من شأنها الاحراق والطيش والسرعة [2].وهذا الادعاء الإبليسي قائم على فريتين قاعدتهم التوهم الباطل ودافعهما الكبر وحب الاستعلاء ولو بغير حق، الفرية الأولى: إنَّ من كان مخلوقا من عنصر أو عناصر أشرف، كان هو أشرف دواما، ولو ظهرت منه بعد خلقه قبائح ومكنرات وأشياء خسيسة، لم تظهر ممن كان مخلوقا من عناصر أقل قيمة من عناصره التي خلق هو منها، ولو ظهرت منه بعد خلقه فضائل ومزايا ومحاسن عظيمة لم يأت بمثلها ذو العنصر الأشرف، وهذه الفرية هي أساس الاستعلاء والاستكبار بالأعراق والأصول القائم على ادعاء التفاضل العرقي الذي يسري الى الفروع، وفروع الفروع ولو فسدت ونجم عنها ضرر كبير وشر مستطير.

الفرية الثانية: إن عنصر النار أشرف من عنصر الطين وهذا ادعاء توهمي باطل فالنار ذات نفع بحرارتها

---

الجمهور أن الاصل في حكم اللفظ أن يكون محمولا على بابه وحقيقته ولا شك أن هذا يتاكد اذا كان معه قرينة تدل عليه كما في هذا السجود ولهذا قال ابن عطية ( وهذه اللفظة ( فقعوا ) تقوي أن سجود الملائكة إنما كان كالمعهود عندنا لا انه خضوع وتسليم واشارة كما قال بعض الناس ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . دار الكتب العلمية . بيروت . ط١ . ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م . ج٨ ص٣٠٨، لكنه . رحمه الله . ناقض نفسه في موضع آخر من تفسيره فقال: وقوله تعالى (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ) لا دليل فيه لأن الجاثي على ركبتيه واقع وما اعتل به منقوض بكلامه الآنف الذكر كما أن الجثي لا يلزم منه الانحناء. فيترجح قول الجمهور ف هذه المسألة والله اعلم. ينظر في ذلك المفردات . الراغب الاصفهاني ص٢٢٤، والجامع لأحكام القرآن . القرطبي ج١ ٢٩٣، ومعاني القرآن . الفراء . تحقيق احمد يوسف بحاتي . ومحمد علي النجار . طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٠م . ج٢ ص٨٨، وأحكام القرآن . الجصاص . دار احياء التراث العربي . بيروت . ١٤٠٥هـ . ج١ ص٣٢، وفتح القدير . الشوكاني ج١ ص٦٦، والتحرير والتنوير . ابن عاشور ج١ ص ٤٢٢.

[1]) ينظر فتح القدير . الشوكاني ج٤ ص٤٤٤.

[2]) ينظر تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٠٣، والمستفاد من قصص القرآن . عبد الكريم زيدان ج١ ص ١٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لأنضاجها الأشياء واستخدامها في منافع كثيرة، وذات ضرر عظيم وخطر جسيم حينما تحرق وتتلف وتهلك، والطين ذو نفع عظيم جدا حينما يكون عنصرا لإنبات الزروع والثمار وسائر نباتات الأرض النافعات للأحياء في غذائهم.....فتفضيل عنصر النار على عنصر الطين تفضيل توهمي باطل دافعه النزعة الاستكبارية المنتنة التي نفخت في صدر ابليس فجعلته يعصي ربه )[1]. وابليس بمقولته هذه يكون اول من بذر بذرة الاستعلاء والتحقير ذلك أنه عبر التاريخ ظهر صنف من الناس وسوس لهم الشيطان وألقى في روعهم أنهم ارقى من البشر وتجري في عروقهم دماء الآلهة فكانوا اتباعه وكان كبيرهم في هذا التحقير والاستعلاء. ووفقا لهذا الفقه الشيطاني ادعى هذا الصنف من البشر الألوهية وفي عهودهم اندرج الانسان الى مستوى أقل من مستوى البهيمة. فابليس بهذه المقولة ذل الانسان على يدي الانسان. من منطلق حقده وخصومته لآدم وأبنائه. ولم يقذف الشيطان بفقه (أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ )على الجبابرة الذين ادعوا الألوهية على امتداد التاريخ فقط. وإنما قذف بفقه (أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ) على الخاص والعام في الساحة الانسانية لوقف تقدم دين الفطرة. فما من نبي أو رسول بعثه الله منذ ذرأ الله ذريته آدم الاّ رفعت في وجهه لافتة تحقير الانسان التي انبثقت من فقه (أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ) الذي يحمل بين طياته الخصومة لبني الانسان لقد واجه الخاص والعام رسل الله عليهم السلام بقول واحد على امتداد الرسالات فقالوا { مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ }[2]، وقالوا {إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا }[3] وقالوا {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ }[4]. لقد قام ابليس بتوظيف خصومته للإنسان بأن بث ثقافة من شأنها أن تمنع السجود لله واذا كان هو أصل هذه الثقافة يوم أن رفض السجود. فإن هذه الثقافة حملها في الدنيا الانسان ضد الانسان بعد أن دق الشيطان وتدها في الكيان الانساني وفقه التحقير هذا باق ما بقي الشيطان فالشيطان يطرحه على قوم وعند ذهاب السلف يلقيه الشيطان على الخلف وهكذا تتسع الحلقات ليكون التحقير مألوفا على امتداد القافلة البشرية وهذا ما نلحظه اليوم في واقعنا وما نعاني منه نحن أمة الاسلام تلك هي خطة الشيطان في فقه التحقير الذي يرفض الهدى ليفتح أبواب النار[5].

ثم يظهر للمتدبر الفطن أن ابليس بمقولته هذه ورفضه للسجود لآدم هو في نفس الوقت رفضاً

---

[1]) معارج التفكر ودقائق التدبر . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . دار القلم . دمشق ط١ . ١٤٢١ هـ . ٢٠٠٠م مجلد ٤ ص ١١٣. ١١٥.

[2]) يس: ١٥.

[3]) إبراهيم: ١٠.

[4]) المؤمنون: ٢٤.

[5]) ينظر الانحرافات الكبرى . القرى الظالمة في القرآن الكريم . سعيد أيوب ص ١٧ . ١٩، وينظر معارج التفكر ودقائق التدبر . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . م ٤ ص ١١٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للخضوع للانسان والعمل في سبيل سعادته واعانته على كمال المطلوب على خلاف ما ظهر من الملائكة فهو بإبائه عن السجدة خرج من جموع الملائكة كما يفيده قوله تعالى {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ }[1]. وأظهر الخصومة لنوع الانسان والبراءة منهم ما حيوا وعاشوا. وابليس بمخالفته أمر الله أصبح من المرجومين والملعونين والصاغرين وكأن هذه الصفات تعطي انطباعا أن كل من يخالف أمر الله سبحانه وتعالى، يتلبس بهذا اللبوس ويتصف بهذا الوصف ذلك أن الذي يتكبر على الله يجلببه الله بجلباب الذل والصغار فمن تواضع لله رفعه ومن تكبر على الله وضعه[2].

وبعد هذا الطرد واللعن طلب الانظار والامهال الى يوم يبعثون قال تعالى {قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ المنظَرِينَ} [3]. أي امهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون أي بعث آدم وذريته من قبورهم وهو يوم القيامة والحساب { قَالَ إِنَّكَ مِنَ المنظَرِينَ} أي من المؤجلين الى ذلك اليوم[4].

لقد تكرر هذا الطلب من ابليس في سورتي ( ص ) والحجر. قال تعالى {قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ} [5] وقال تعالى {قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ } [6] نلحظ في هاتين الآيتين فروقا تعبيرية عن آية الأعرف وهي فروق يكتمل فيها البناء الفني للقصة وتوضح من خلالها الصورة الفنية بهذا التنوع في التعبير فقد ذكر في سورة ( ص ) و (الحجر ) لفظ الرب في اثناء السؤال وجاء بالفاء. فما الوجه في ذلك؟ إنه السياق الذي يحدد تركيب الالفاظ وحسن اتساق المعاني وارتصافها، وتجدد المعاني وتغايرها بحيث تحمل كل وحدة لفظية دلالة معنوية مستقلة[7].ففي سورة الأعراف لما اختصر الله سبحانه وتعالى في السؤال على الخطاب دون صريح الاسم في هذه السورة اختصر في الجواب أيضا على الخطاب دون ذكر المنادى. وأما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة فلأن داعية الفاء ما تضمنه النداء من أدعوا أو أنادي نحو (رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا) [8] أي أدعوك وكذلك داعية

---

[1]) الحجر: ٣٢.

[2]) ينظر محاسن التأويل . القاسمي . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار احياء التراث العربي . بيروت . ط١ . ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م . ج٧ ص ٢٦. ٢٧، والمنار ج٨ ص٣٣٤، وصفوة التفاسير . محمد علي الصابوني . دار القرآن الكريم . بيروت . ط٢ . ١٤٠٢هـ . ١٩٨١م . ج١ ص ٤٣٨.

[3]) الأعراف: ١٤ . ١٥.

[4]) ينظر تفسير القاسمي ج٧ ص٢٧.

[5]) ص: ٧٩ . ٨٠.

[6]) الحجر: ٣٦. ٣٧.

[7]) ينظر نظرية السياق القرآني . د. مثنى عبد الفتاح محمود ص ٢٣٣.

[8]) آل عمران: ١٩٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الواو في قوله (رَبَّنَا وَآتِنَا) [1] فحذف المنادى في هذه السورة فلما حذفه انحذفت الفاء ) [2]. ويمكن أن نلحظ بعدا فنيا آخر إن ابليس قد جرت له محكمة ربانية حول عدم تنفيذه لأمر الله سبحانه وتعالى وهذه المحكمة قد تمت على جلسات ظهر فيها ابليس في الجلستين الأولى والثانية كما في سورتي ص والحجر يستعطف ربه سبحانه وتعالى فقال فيهما بعد اصدار الحكم عليه {قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} أما في سورة الاعراف هذه فكانها كانت الجلسة الثالثة والأخيرة فخاطب الله جل جلاله بجفاء دون أن يقول له: ( رب ) بل قال {قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } لقد واجه ربه بخطاب مماثل لخطاب الله له. فكما قال الله له في هذه الآية {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ } دون أن يتلطف به بذكر اسمه كما فعل في سورتي . ص والحجر . قال ابليس {أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } دون أن يقول ( رب ) فقد كان في هذا الخطاب شديد الوقاحة فخاطب ربه بأسلوب لا يكون الاّ من الند للند[3]. ولما علم ابليس بامهال الله له الى يوم القيامة كشف اللعين عن حقده وعداوته لآدم وذريته وما هو عازم عليه لإيذائهم واضرارهم واضلالهم وصرفهم عن الصراط المستقيم[4] قال تعالى حكاية عما قال ابليس {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ۞ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ۞ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ } [5] فهنا ابليس جريا على وقاحته ادعى أن الله سبحانه وتعالى أغواه بما فعل وفعل الغواية هذا قد تكرر في ص والحجر ففي ص قال ({ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ }[6] وفي الحجر قال { رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي }[7]. ففي الاعراف مقتصرا على الخطاب دون النداء وهو متماشي مع سياق الآية أما في ص فقد أقسم هو على اغواء آدم وذريته وفي الحجر مطابق لما قبله في الجري على النداء[8]. وللمفسرين في الباء الواردة في قوله تعالى {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي } أقوال:

القول الأول: على إنه باء القسم أي باغوائك اياي لأقعدن لهم صراطك المستقيم أي: بقدرتك عليّ ونفاذ سلطانك فيّ لأقعدن لهم على الطريق المستقيم الذي يسلكوه الى الجنة، ولما كانت ( الباء ) باء

---

[1] آل عمران: ١٩٤.

[2] اسرار التكرار في القرآن . محمود بن حمزة بن نصر الكرماني . دراسة وتحقيق عبد القادر احمد عطا . دار أبو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع . تونس: ص ٧٨ . ٧٩.

[3] ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني م٤ ص١١٨ . ١١٩.

[4] ينظر المستفاد من قصص القرآن . عبد الكريم زيدان . ج١ ص ١٥، ومعارج التفكر ودقائق التدبر م١٢ ص ١١٩.

[5] الأعراف: ١٦. ١٨.

[6] ص٨٢.

[7] الحجر: ٣٩.

[8] ينظر اسرار التكرار في القرآن . الكرماني ص٧٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القسم، كانت ( اللام ) جواب القسم و ( ما ) بتأويل المصدر و ( أغويتني )صلتها.

القول الثاني:ـ الباؤء في قوله تعالى ( فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ) سببية، أي بسبب اغوائك إياي لأقعدن لهم، والمراد انك لما أغويتني فأنا أيضا أسعى في اغوائهم.

القول الثالث:إن ( ما ) في قوله ( فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي) للاستفهام كأنه قال: بأي شيء أغويتني ثم ابتدأ وقال (لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ) وفيه اشكال وهو أن اثبات الألف إذا دخل حرف الجر على ( ما ) الاستفهامية قليل[1]. والذي يترشح عن المعاني أن الباء جارة سببية كأنه قال فبسبب حكمك عليّ بالغواية و ( ما ) هنا مصدرية وهي التي تؤول مع الفعل الذي بعدها بمصدر أي: فباغوائك لي في حكمك الصادر عليّ والمراد بالاغواء الحكم الصادر على ابليس بعد رفضه أمر الله بالسجود لآدم، لا تقديره ولا الاجبار عليه فهو الذي جناه بيده واللام في (لأَقْعُدَنَّ )واقعة في جواب قسم محذوف فيكون تقدير الكلام فبسبب حكمك عليّ بالغواية أقسم لأقعدن لاغوائهم ملازما صراطك المستقيم يفسر ذلك ويوضحه قسمه في سورة ص[2] (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ). والاغواء الايقاع في الغواية وهي ضد الرشاد يقال غوى الرجل يغوي غيا إذا فسد عليه أمره أو فسد هو في نفسه، ويقال أغواه الله أي أضله، فاغواء ابليس لآدم وذريته هو اضلالهم وافسادهم وصدهم عن سبيل الحق[3].

وصراط الله المستقيم هو الطريق الذي يصل بسالكه الى السعادة التي اعدها الله تعالى لمن زكى نفسه بهداية دينه الحق[4].وانتصب لفظ ( صراط ) لتضمن فعل ( أقعد ) معنى فعل ( الازم ) على أنه مفعول به فأغنى هذا التضمين عن التصريح بجملتين إذ الجملة الأولى حذف معمولها والجملة الثانية حذف لفظ فعلها وضمن الفعل المذكور معناه والتقدير: لأقعدن عند صراطك ملازما اياه [5]. والتضمن ظاهرة قرآنية هي من عناصر ابداعه البياني لها اثرها في رسم الصورة الفنية فقد أبان ابليس بقعوده معنى التمكن وأضاف إليه معنى الملازمة فتمت له المرابطة بكامل عناصرها[6].

إذن المرابطة بتمكن وملازمة وترصد هي أول شروط اعمال الاغراء والاغواء للإبعاد والصرف عن صراط الله المستقيم وابليس لم يعط العهد على نفسه بهذه المرابطة الاّ بعد أن لاحظ ذريته الابالسة وجنوده

---

[1]) ينظر الكشاف ج٢ ص٥٤١، وزاد المسير ج٣ ص ١٧٦، والتفسير الكبير . الرازي ج ١٩ ص ١٤٧، وتفسير القرآن العظيم . ابن كثير ج٢ ص ٥٥٢، وروح المعاني ج٨ ص ٩٤.

[2]) ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر . حبنكة الميداني م٤ ص ١٢٠.

[3]) معجم مقاييس اللغة ج٤ ص ٣٩٩، ولسان العرب ج١٥ ص ١٤٠، ومحاسن التاويل ج٧ ص ٣١.

[4]) ينظر تفسير المنار ج٨ ص ٣٣٧، والمستفاد من قصص القرآن . عبد الكريم زيدان ج١ ص١٥.

[5]) ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر . الميداني م٤ ص ١٢١.

[6]) ينظر مفاتيح الغيب . الرازي ج١٤ ص ٣٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من شياطين الجن والانس وانهم سيكونون أعوانه في تنفيذ هذه الخطة المبرمجة بدليل قوله تعالى في سورة الكهف {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً }[1] وقول الله عزوجل في سورة الشعراء بشأن مصير الغاوين والمشركين في الجحيم وجنود ابليس أجمعين: {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ۞ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ } [2] فابليس لما أعطى العهد على نفسه بالاغواء كان يعلم أنه سيكون له جنود وأعوان يعينوه في تنفيذ خطته هذه. وجعل ابليس مكان المرابطة على صراط الله المستقيم لأن مهمته صرف المتجهين لسلوكه عنه واخراج السالكين فيه منه أما الآخرون السالكون في سبلهم المختلفة البعيدة عن صراط الله المستقيم فانهم غاوون بأنفسهم وقد وفروا على ابليس مباشرة مهمة اغوائهم بل هم مهيئون لأن يكونوا من جنوده شياطين الإنس مع شياطين الجن الملازمين لهم[3]. ثم بعد هذه الملازمة على الصراط المستقيم بين أنه سيحيط بالانسان ويأتيه من كل جانب كما قال تعالى {ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ }[4]. وقد ذهب المفسرون في تحديد هذه الجهات مذاهب شتى يمكن اجمالها على النحو الآتي:

١. جاء عن عبد الله بن عباس في تفسير هذه ألاية (ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ) أي أشككهم في آخرتهم ) (وَمِنْ خَلْفِهِمْ ) أي أرغبهم في دنياهم (وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ) أي أشبه عليهم أمر دينهم (وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ) أي أشهي لهم المعاصي[5].

٢ـ ذهب السدي وابن جريح الى أن معنى قوله تعالى (مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ) أي من قبل دنياهم وقوله تعالى (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) أي: من قبل آخرتهم [6].

٣. قال مجاهد: بأن المراد به هو من حيث يبصرون ومن حيث لا يبصرون[7].

٤. وذهب ابن جرير الى أن المراد جميع طرق الخير والشر، فالخير يصدهم عنه والشر يحسنه لهم[8].

---

[1]) الكهف: ٥٠.

[2]) الشعراء: ٩٤. ٩٥.

[3]) ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر . الميداني م٤ ص١٢٢.

[4]) الأعراف: ١٧.

[5]) تفسير القرآن العظيم . ابن كثير ج٢ . ص ٢٠٤.

[6]) زاد المسير في علم التفسير . ج٣ ص ١٧٦ . ١٧٧.

[7]) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ابن عطية ج٢ ص ٣٨١، وتفسير القرآن العظيم . ابن كثير ج٢ ص ٢٠٥.

[8]) ينظر جامع البيان: ج٨ ص ١٣٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥. وذهب صاحب تفسير الميزان الى أن المراد بما بين أيديهم: ما يستقبلهم من الحوادث أيام حياتهم والمراد بخلفهم: ناحية الاولاد والأعقاب والمراد باليمين: هو الجانب القوي الميمون في الانسان ناحية سعادتهم وهو الدين والمراد بالشمال: خلاف اليمين واتيانه منه أن يزين لهم الفحشاء والمنكر[1].

تلك جل أقوال المفسرين حول هذه الآية لكننا يمكن أن نلحظ فيها معنى أعمق مما ذكر يتماشى مع البناء الفني للنص القرآني هذا الملحظ يتمثل في أن الاغواء يتطلب مغوي ومغوى وتنحصر أعمال المغوي الحريص على صد السالك عن سبيل الله، واخراج السالك فيه منه وتوجيهه لسبل ضالة شتى في اربع جهات:

الجهة الأولى: هي جهة ما بين يدي السالك.

الجهة الثانية: هي جهة ما خلف السالك.

الجهة الثالثة: هي الجهة الواقعة عن يمين السالك.

الجهة الرابعة: هي الجهة الواقعة عن شمال السالك.

واعمال المغوي:اما أن تكون صدا وهذه تكون من الامام وإما أن تكون جذبا ومنعا من التقدم وهذه تكون من الخلف واما أن تكون تحويلا عن خط السير وهذه تكون عن الايمان وعن الشمائل، أما ما هو فوق الصراط، أو ما هو تحته، فلا دفع ولا جذب يكون في أي واحد منهما، لأن موقع الصراط شامل لما هو فوقه ولما هو تحته فمن كان سالكا على صراط الله المستقيم فكل علو فوقه أرضه هو منه وكل عمق تحت أرضه هو منه وبهذا ابان ابليس خطته في الحصار الاغوائي وطوى النص حركات الصد والمنع والتحويل عن صراط الله المستقيم لأنها مما يمكن فهمه ذهنا فالنص هنا يصور لنا خطة ابليس في هذا الحصار الاغوائي أما الوسيلة المستعملة في هذا الاغواء فقد بينتها سورة الحجر قال تعالى {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ }[2] فالوسيلة المتبعة بعد هذا الحصار الشيطاني هي التزيين لهم في الأرض من أفكار وأهواء وشهوات وغرائز وهو ما جاء بيانه في هذه الاية من سورة الحجر إذن البناء الفني يكتمل إذا فهمنا أن آية سورة الأعراف تصور الحصار الشيطاني للإنسان بعد القعود له على الصراط المستقيم وآية سورة الحجر تبين الوسيلة المستخدمة في الاغواء فأصول الاغواء ترجع الى ثلاثة أعمال في خطة ابليس:

الأول: الصد من الامام.

الثاني: المنع والجذب من الخلف.

---

[1]) ينظر تفسير الميزان . الطبطبائي ج٣١ ص٨.

[2]) الحجر: ٣٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الثالث: التحويل ذات اليمين وذات الشمال.

وهكذا أعلن ابليس أصول خطته العامة لإغواء ذرية آدم في هذه ألآية [1]. وإبليس بعد أن أعلن عن خطته بين قوة اضلاله بأن خاطب الله جل جلاله بقوله {وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} كأن عبارته هذه توحي بأن خطته محكمة فلن يفلت من الوقوع في حبائله الاّ القليل من الناس[2].وشاكر اسم فاعل وهو يطلق على من يكون منه شكر ما ولو كان قليلا أما من ليس لديه أدنى شكر لربه فهو كفور ( صيغة مبالغة لكافر ) والكفور هو الذي ليس في قلبه مثقال ذرة من ايمان ولهذا عبر الله عزوجل عن المؤمن ولو من أدنى درجات الايمان بعبارة ( شاكر ) وعبر عن الكافر ولو من أخف دركات الكفر بعبارة (كفور ) فقال تبارك وتعالى في سورة الانسان {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً۞ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً} [3] أي: إما أن يكون بعد رحلة امتحانه شاكرا ولو من أدنى درجات الشكر بايمان مقبول يدخل الجنة وإما أن يكون بعد رحلة امتحانه كفور ولو كان كفره من أخف دركات الكفر، وهو الكفر الذي يجعله خالدا في عذاب النار[4]. هل أدركنا دقة التعبير القرآني في استعمال العبارة ورسم الصورة للشخوص؟ ولنا أن نتسأل هنا من أين جاءت هذه الثقة لإبليس حتى أخبر أن خطته ستنجح في المستقبل عبر تاريخ الانسان في الأرض فيكون أكثرهم كفورين لربهم؟ يمكننا القول أن هذا كان من ابليس مستندا الى ما رآه من عوامل ضعف الانسان في تكوينه، وتأثير أهوائه وشهواته وغرائزه على ارادته وإمكان استهوائه بها. أو أنه قاس الانسان على ما سبق أن عرفه من طبيعة الجن، ذوي الارادات الحرة والاهواء والشهوات والغرائز. وهذه مشابهة لما لدى الانسان[5]. والدليل على أن هذا قد كان ظنا من إبليس مستندا الى امارات لاحظها قول الله عزوجل في سورة سبأ في معرض الحديث عن سبأ ومعاقبتهم بالسيل العرم وتمزيقهم كل ممزق {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ }[6]. إذن هذه خطته التي أفصح عنها بعد أن أمهل الى يوم الوقت المعلوم، وقبل أن انتقل الى الواقع التطبيقي لهذه الخطة الشيطانية علينا أن نشير الى بقية أجزاء هذه الخطة ذلك ان هناك نصوص قرآنية أخرى أفصحت عن جوانب أخرى من الخطة الشيطانية في إضلال الناس فإذا كان هنا قد بين المكان الذي سيكمن فيه لبني آدم والجهات التي سيراودهم من خلالها فانه في نصوص أخرى .كما ذكرت آنفا . قد ذكر الوسائل

---

[1] ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر . الميداني م٤ ص ١٢٢. ١٢٣.

[2] ينظر التحرير والتنوير . ابن عاشور ج٨ ص١٥٠.

[3] الانسان: ٢، ٣.

[4] ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر . الميداني م٤ ص ١٢٤.

[5] المصدر السابق م٤ ص ٢٤ . ١٢٥.

[6] سبأ: ٢٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المستعملة في تطبيق خطة الاحاطة هذه. نقرأ في سورة الحجر الوسيلة الأولى في الإضلال الآ وهي التزيين والاغواء قال تعالى {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } أي لأزينن لهم الباطل أو لأزينن لهم المعاصي والمراد بالتزيين لهم في الأرض غرورهم في هذه الحياة الدنيا وهو السبب القريب للإغواء[1]. لقد اعتمد الشيطان فقه التزيين والاغواء فهذا الفقه وحده يحافظ على الشذوذ وينقله من عصر الى عصر ويطالعنا إبليس بوسيلة أخرى من وسائل تنفيذ خطته الآ وهي وسيلة الاحتناك التي جاءت الاشارة اليها في قوله تعالى {قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً }[2] والاحتناك: الاقتطاع من الأصل يقال: احتنك فلان من مال أو علم إذا استقصاه فأخذه كله واحتنك الجراد الزرع إذا أكله كله وحنك الدابة بحبلها إذا جعل في حنكها الأسفل حبلا يقودها به.والمعنى الأخير هو الأصل في الباب فالإحتناك: الالجام كأن المعنى لأقودهم الى المعاصي كما تقاد الدابة بحبلها الاّ قليلا من ذريته وهم المخلصون[3]. أنه فقه تلجيم العقول وتكميم الأفواه وتعصيب العيون فقه لايخدم الاّ الغوغاء وتجار الشهوات لنشر الانحراف والشذوذ تحت لافته براقة تنادي: بالديمقراطية وحرية الانسان فيما يختار من تزيين الشيطان أنه فقه يحمي الهجوم بالانحراف لتدمير الجنس البشري بأيدي الجنس البشري[4].

ومن وسائله أيضا في تنفيذ خطته ما جاء في قوله تعالى {وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً۞ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ} [5]. فهو هنا يفصح أنه سيستخلص أناسا يغويهم ويضلهم وعبر عن هذا الاستخلاص بالنصيب المفروض كأن هؤلاء الضالين نصيب ابليس الواجب له. واضلالهم يكون بالاشتغال بعبادة غير الله وباقتراف المعاصي واغرائهم بالاشتغال بالآمال والأماني التي تصرفهم عن الاشتغال بواجب شأنهم وما يهمهم من أمرهم ثم يأمرهم بشق آذان الانعام وتحريم ما أحل الله وأمرهم بتغير خلق الله وينطبق على مثل الأخصاء وأنواع المثلة واللواط والسحاق. وليس من البعيد أن يكون المراد بتغير خلق الله، الخروج عن حكم الفطرة وترك الدين الحنيف[6]. فهذه الأشياء وسائل الشيطان في تنفيذ خطته وكل من اتخذ الشيطان له وليا أصبح أداة للشيطان يحركه ليصيب به ما يشتهيه في عالم الزينة والاغواء.بعد أن طرد الله سبحانه وتعالى ابليس من الجنة[7] لاستكباره ورفضه

---

[1]) ينظر تفسير الميزان . الطبطبائي . ج١٢ ص ١٦٤.

[2]) الاسراء: ٦٢.

[3]) مفاتيح الغيب ج ٢١ ص ٤، وينظر تفسير القران العظيم ج٣ ص٥٠،ومحاسن التأويل ج٩ ص ٢٤٧.

[4]) ينظر الانحرافات الكبرى . سعيد ايوب . ص ٢٣ . ٢٤.

[5]) النساء: ١١٨ . ١١٩.

[6]) ينظر الجامع لأحكام القرآن . القرطبي ج٥ ص ٣٨٨ . ٣٨٩، وتفسير الميزان ج٥ ص ٨٤.

[7]) سبق ان اشرت في بداية الحديث عن صور الصراع الاولى مع الشيطان الى اني سأركز الحديث على جوانب الصراع في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السجود لآدم أسكن الله تعالى آدم وزوجه في الجنة وأباح لهما الأكل منها من حيث شاء الاّ من شجرة واحدة عيّنها لهما ونهاهما عن الأكل منها قال تعالى {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}[1] وقد تكرر هذا الأمر حرفيا في سورة البقرة ولكن بزيادة لفظة ( قلنا ) قال تعالى {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ }[2] ويمكن لنا أن نستنبط بعض القضايا المهمة من خلال هذين النصين.

١ـ ان الآيتين دلتا على الله عزوجل خلق لآدم زوجة وهي أمنا حواء وأنه سبحانه تولى بنفسه عقد التزويج هذا بصريح قوله {اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}.

٢. ان الله عزوجل أسكنهما في بيت الزوجية المعد لهما ولذريتهما المؤمنين بالله المسلمين له، أما غيرهم فلاحظ لهم فيها. وكان هذا الاسكان الأول اسكان امتحان واختبار لا إسكان خلود واستقرار.

٣ـ ان الله عزوجل احل لهما أن يأكلا من كل مأكول في الجنة ومن كل مكان من امكنتها وحرم عليهما في اقامتهما الاختبارية أن يأكلا من شجرة خاصة عينها لهما بشخصها أو بنوعها إذ نهى عن الاقتراب منها نهي تحريم بدليل ترتيب العقاب على الأكل. دل على هذه القضية قوله تعالى {فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ} والنهي عن قرب الشيء أبلغ من النهي عنه فهو يقتضي البعد عن موارد الشبهات التي تغري بالمنهي عنه وتفضي اليه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه، كما ورد في حديث رسول الله ﷺ[3].

٤. والقضية الرابعة: ان الله عزوجل حذرهما من مغبة معصيتهما إذا أكلا من الشجرة التي حرّم عليهما أن يأكلا منها. دلّ على هذه القضية قوله تعالى {فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ}والحكم بالظلم يستدعي العقوبة وكانت العقوبة الاخراج من الجنة وجعل الارض هي مسرح الامتحان ( ورحلة الامتحان في الارض لآدم وزوجه وذريتهما، رحلة كدح ومكابدة وكشف لما في النفوس، من إرادة خير واعتراف بالحق، أو إرادة شر وجحود للحق واتباع للأهواء والشهوات وزينة الحياة الدنيا )[4] ولما رأى ابليس ما أنعم الله به على آدم من أمر ملائكته بالسجود له ومن اسكان الله له وزوجه في الجنة حسدهما على ذلك فبدأ بتنفيذ خطته في

---

هذه القصة أما التفاصيل عن حقيقة هذه الجنة، والشجرة التي نهي آدم من الأكل منها فمن ما لايفيد البحث في شيء ويبعدنا عن جانب العبرة في هذه القصة.

[1]) الأعراف: ١٩.

[2]) البقرة:٣٥.

[3]) ينظر تفسير المنار. محمد رشيد رضا. ج٨ ص ٣٤٦، ومعارج التفكر ودقائق التدبر. الميداني م٤ ص١٣٠.

[4]) معارج التفكر ودقائق التدبر. الميداني م٤ ص ١٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الانتقام من آدم وزوجه[1] فكيف بدأ بتنفيذ خطته؟ انه بدأ أول ما بدأ بالوسوسة قال تعالى {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ۞ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ } [2] والوسوسة والوسواس حديث النفس والاسم منه الوسواس بفتح الواو ويطلق على الشيطان اسم ( الوسواس ) لأنه يحدث من داخل النفس[3] وهذا أدعى للإستجابة والاندفاع الى ما تدعوا اليه الوسوسة باعتبار ان الداعي شيء من ذات النفس لا من جهة أخرى تأمر وتنهى وتغري. فبهذه الوسوسة أضل ابليس آدم وأغراه بالأكل من الشجرة، فالشيطان يستطيع أن يصل الى فكر الانسان وقلبه بطريقة لا ندركها ولا نعرفها يساعده على ذلك طبيعته التي خلق منها وهي خاصية تميز بها ابليس والشياطين، من خلال الدخول في النفس الانسانية فيحدثونها بالشر، ويحضونها على فعله باستمرار لا يتخلله انقطاع وبإصرار لايلين[4].

ثم يمكن لنا أن نلاحظ بعدا فنيا في هذا النص متمثلا في ان الفعل وسوس قد جاء معدى باللام في سورة الاعراف هكذا (فَوَسْوَسَ لَهُمَا ) بينما جاء معدى بـ ( الى ) في سورة طه هكذا (فَوَسْوَسَ إليه ) فما هو هذا البعد الفني؟ يمكننا القول ان الشيطان لم يوسوس لآدم في أول الأمر بصورة مباشرة بل كان يتخذ وسائل بعيدة عن الوسوسة المباشرة وهي في آخرها تحدث الوسوسة، دل على هذا استخدام حرف ( الى ) المشعر بطول المسافة بين بدء الشيطان بحركته وبين حدوث الوسوسة، ودل عليه أيضا استخدام اسلوب العرض الاستفهامي في العبارة الاغرائية {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى }[5] فهي عبارة تثير الشوق الى المعرفة وليس فيها إشارة ما إلى الشجرة التي نهى الله عزوجل عن الاقتراب منها. فما جاء في سورة ( طه ) بيان للمحاولة الأولى من محاولات الشيطان تلتها محاولات أخرى في خطوات شيطانية تهبط في الدركات . فإبليس أول ما استخدم حيلة التشويق للربط حتى وقع على المغمز الملائم لصيد الفريسة فأمسك به[6] وقد دل على هذا ما جاء في سورة ( الاعراف ) وهو قول الله عزوجل (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ) [7] فالشيطان هنا قد استعمل فقه الشعار في الوسوسة الى آدم وزوجه وهو فقه يقوم على تمييع القضايا وترقيع الحقائق برقع الباطل أو تزين الباطل بلافتات الحق وفقه الشعار

---

[1]) ينظر تفسير ابن كثير ج٢ ص ٢٠٥.

[2]) الأعراف: ١٩، ٢٠.

[3]) ينظر جامع البيان ج٣٠ ص ٣٥٦، والمحرر الوجيز ج٥ ص ٤٥٦، وأنوار التنزيل ج٣ ص٦.

[4]) ينظر حقيقة الشيطان بالمنظور القرآني . شاكر عبد الجبار . مطبعة اليرموك . بغداد ط٥ . ١٩٩٠ م ص٤٣، وينظر عالم الجن والشياطين . عمر سليمان الاشقر . ص ٨٠.

[5]) طه: ١٢٠.

[6]) ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر . الميداني م٤ ص ١٣٥.

[7]) الأعراف: ٢٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذي يعمل به أولياء الشيطان أول من عمل به الشيطان نفسه ثم ألقاه على عقولهم الصدئة ليعملوا به ضد البشرية ولكن بأسلوب آخر[1]. ثم جاء النص ليشير الى الغاية الشيطانية من هذا الفقه إن غايته إيقاع آدم وزوجه في معصية الله ربهما قال تعالى {لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا } [2] أي ليظهر لهما ما كان مستورا من العورات التي يقبح كشفها[3] وبانكشاف سوأتهما المادية تنكشف سوأتهما النفسية المستعدة للسقوط في المعصية وارتكاب الإثم. لقد كان ابليس متلهفا أن يرى أول ظاهرة من ظواهر معصيتهما وهي بدو سوأتهما فالوسوسة الشيطانية بدأت باستثارة رغبتهما في أن يكون لهما انطلاق الملائكة في السموات بأجساد نورانية أو أن يكونا خالدين فيما هما فيه من نعيم الجنة. فبدأت الخطة الشيطانية بأن زرع الشك في قلبيهما حول الغرض من نهي الله لهما عن ان يأكلا من الشجرة المحرمة فقال لهما مع ما قدم لهما من إغراءاته وتسويلاته ما نهاكما ربكما عن الأكل من هذه الشجرة الاّ منع أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين. وربما قال لهما ان الملائكة لم يصيروا نورانيين ينطلقون في السماوات بأجساد نورانية الاّ بعد أن أكلوا من هذه الشجرة[4]. فهذه فكرة إبليسية قديمة تجعل للأشياء طبائع ذاتية أصلية ثابتة وأن الله يخلق من خلالها فابليس لما رفض السجود لآدم علل رفضه بأن عنصر النار بطبيعتها الذاتية أشرف من عنصر الطين وفي تسويله لآدم وزوجه زعم لهما كاذبا أن عنصر الشجرة المحرمة يحول الأكل منها إلى ملك نوراني يعبر أقطار السماوات بخفة الأنوار أو الأرواح المجردة أو يجعله خالدا يعيش أبدا دون أن يدركه الموت. والسؤال الذي يمكن أن يطرح هنا كيف وقع آدم وزوجه في هذه الغفلة فتصور ان شجرة يمكن أن تمنح الصفة الملائكية أو الخلد الأبدي؟ أقول الذي أوقعهما في هذه الغفلة شدة رغبتهما بأن يكونا ملكين أو بأن يكونا خالدين ومعلوم أن شدة الرغبة تتحول إلى هوى ومن شأن الهوى أن يغشي على مراكز التفكر الصحيح ويجعل الانسان يتصرف بموجه من رغبات نفسه لا بموجه من فكره وعقله وايمانه، ومن هنا سقط المؤمنون في أوحال المعاصي والخطايا[5] اللافت للنظر هنا في هذه الصورة الفنية ان الشيطان عندما وسوس لآدم وزوجه معا وعدهما بأن الشجرة ستجعلهما ملكين من الملائكة أو خالدين قال تعالى {وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} [6]؛ وعندما كانت الوسوسة لآدم وحده فقد وعده بالخلد وبالملك الذي لا يبلى قال تعالى {قَالَ يَا آدَمُ هَلْ

---

[1] ينظر الانحرافات الكبرى . القرى الظالمة في القرآن الكريم . سعيد ايوب . ص ٢١.

[2] الأعراف: ٢٠.

[3] ينظر صفوة التفاسير ج١ ص ٢٣٩.

[4] ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر . م٤ ص ١٣٨

[5] ينظر الانحرافات الكبرى . سعيد ايوب . ص ٢١،ومعارج التفكر ودقائق التدبر . الميداني م٤ ص ١٣٩.

[6] الأعراف: ٢٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى } [1].فما البعد الفني لهذين التعبيرين الذي يظهر للمتأمل في هذين الوعدين أن كلا الوعدين يتناسب مع التركيبة الذكورية والأنثوية فالذكور هم الأكثر حلما بالخلود بينما الأناث أكثر حلما بالملائكة وهذا يتناسب مع تأنيث العرب للملائكة ومع ربط المرأة الجميلة بصورة الملاك وهذا الذي بدى لي ليس من التفسير في شيء ولا أدعي أنه مراد الله وإنما هو استقراء للمسارب التي تتفتح على النص بلا انتهاء. والمدهش في هذه الوسوسة حقا هو ان آدم رأى الملائكة يسجدون له فكيف يتمنى أن يكون منهم وقد علم في ذلك السياق تميزه الظاهر عليهم؟ ثم هو لم يجرب الموت ولم يشاهده. فكيف يحلم بالخلود؟ الذي يظهر لنا متولدا من مسارب النص التي لا تنتهي ان آدم عليه السلام اطلع على الطبيعة التركيبية والحركية للملائكة فحلم أن يكون منهما وأما الحلم بالخلد فانه استنتج من خلال طبيعته التركيبية انه الى فناء أو انه وزوجه كانا يعلمان انهما في سكنى ابتلاء لا في سكنى دوام وبقاء. ولكن مع هذا الاغراء وتلك الوسوسة هل استسلم آدم وزوجه بسهولة؟ الصورة التي يرسمها لنا النص تبين ان آدم وزوجه قد وجما عن قبول ما سول ابليس لهما به، فلجأ أولا الى حيلة حلف الايمان المؤكدة، فشرع يقسم لهما بربه كاذبا ويؤكد أقسامه ويقول لهما: اني لكما لمن الناصحين. قال تعالى {وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ } أي حلف لهما بالله على ذلك انه ناصح لهما فيما يقول في خداعهما وقد يخدع المؤمن بالحلف بالله[2] ولم يكتف ابليس بالتشديد في القسم بل شدد أيضا في تأكيد المقسم عليه بعدة مؤكدات هي ( إن . والجملة الاسمية . واللام المزحلقة في قوله تعالى: { إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ }[3] ومرة أخرى ورغم كل هذه التأكيدات فان آدم وزوجه لم يسرعا في الاستجابة لدعوته وتسويلاته. فاتخذ ابليس معهما أسلوب الخطوات الازلاقية المتشابهة. والتدلية شيئا فشيئا في بئر المعصية ومع كل مرحلة من مراحل التدلية اغراءات من منابع التغرير والخداع والاطماع بالباطل دل هذا على قول الله عزوجل ({فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ...} [4] أي فبعد ان شدد الحلف لهما وأكد لهما انه لهما لمن الناصحين أخذ ينزلهما شيئا فشيئا في بئر المعصية أو مهواة المعصية ليجعلهما عند حدها تماما ليس بينهما الاّ الملامسة وعندئذ يسهل جدا إزلاقهما وإيقاعهما في الزلل[5].ومعلوم ان التدلية لاتكون رميا أو قذفا وإنما تكون إرسالا برفق شيئا فشيئا وهذه وسيلة الشيطان انها قائمة على أسلوب الخطوات المتتابعات تنازلا الى الحضيض او الى الدرك الاسفل من الجحيم[6].ومرة أخرى تطالعنا العبارة القرآنية لترسم لنا ظلال صورة فنية رائعة الجمال فهل رأينا أبلغ وأجمل

---

[1]) طه: ١٢٠.

[2]) ينظر صفوة التفاسير ج١ ص ٢٣٩.

[3]) ينظر الكشاف . الزمخشري . ج٢ ص ٧٣ . ٧٤، وتفسير المنار ج٨ ص ٣٤٨، وتفسير المراغي ج٧ ص ١٢٠.

[4]) الأعراف: ٢٢.

[5]) ينظر: تفسير الخازن ج٢ ص ٨٣، وتفسير ابي السعود ج٢ ص ٢٤٤، وروح المعاني ج٨ ص ٨٧.

[6]) ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر . م٤ ص ١٤١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من هذه المطابقة بين العبارة التي هي غاية في الإيجاز وبين الفكرة المرادة ذات المرامي والأبعاد الواسعة ان تشبيه عملية الاغواء ذي الخطوات المتتابعات في الانحدار بالتدلية في بئر أو في مهواة من أبدع التشبيهات وأبرعها وأدقها واستعمال فعل ( دلى ) كان على سبيل الاستعارة الفنية الرائعة[1]. ونجح اللعين في ايقاعيهما بالمعصية قال تعالى {فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ }[2] أي فحين ذاقا طعم مأكول ما من الشجرة ( فلما ) حينية ظرفية تختص بالماضي انكشف لهما سوأتهما إذ كانت مواراة عنهما لا يريانها والسوأة فرج الرجل والمرأة من السوء وسميت العورة سوأة لأن انكاشفها يسوء صاحبها ولهذا أوجب الله تعالى على الانسان أن يستر عورته[3] لأن التعري بحد ذاته خروج عن الفطرة فلما علم آدم وزوجه بانكشاف عورتيهما سرعان ما دعاهما الحياء بان يغطيا عورتهما بورق الشجر قال تعالى: {وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ } أي أخذا يلزقان من ورق الجنة ورقة فوق أخرى على عوراتهما ليستترا به كما يخصف النعل بأن تجعل طرفة على طرفه وتوثق بالسيور[4].

وهنا ملحظ فني مهم يكمل أجزاء هذه الصورة الفنية هذا الملحظ هو ان سورة الاعراف ذكرت التذوق وسورة طه ذكرت الأكل من الشجرة قال تعالى {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا }[5] وهو يبين ان بدو السوءة بعد الذواق كأن بدوا أوليا وجزئيا وأن البدو الذي كان بعد الأكل قد كان نهائيا وكاملا و ( يظهر ان لذة طعم الشجرة غلبت ارادتيهما فأتما الأكل ولم يملكا أنفسهما للفظ ما في أفواههما من الشجرة اكتفاء بما حصل لهما من ذواق واتعاضا ببدوا آثارة بل تابعا أكل ما في أفواههما وابتلاعه )[6]. بعد ان وقعا في حبائل الشيطان جاء النداء الالهي { وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ }[7] وهو نداء بدأ بالاستفهام الذي خرج للعتاب والتوبيخ، إذ ناداهما الله تعالى معاتبا وموبخا لهما وقال ألم أنهكما من أن تقربا هذه الشجرة واقل لكما ان الشيطان ظاهر العداوة لكما فان اطعتماه أخرجكما من الجنة حيث العيش الرغيد الى حيث الشقاء في العيش والتعب في الحياة [8]ومن الملاحظ ان الله عزوجل لما نهاهما عن الاقتراب من شجرة الابتلاء ذكرها بلفظ الاشارة

---

[1]) ينظر تفسير المنار ج٨ ص ٣٤٩.

[2]) الأعراف: ٢٢.

[3]) ينظر جامع البيان . ج٨ ص ١٤٦، وزاد المسير ج٣ ص ١٨٠، والجامع لاحكام القرآن ج٧ ص ١٨٠.

[4]) ينظر تفسير الرازي ج١٤ ص ٤١ وتفسير البيضاوي ج٣ ص١٣.

[5]) طه:١٢١.

[6]) معارج التفكر ودقائق التدبر . الميداني م٤ ص ١٤٢.

[7]) الأعراف: ٢٢.

[8]) ينظر روح المعاني ج٨ ص١٠١، وفتح القدير. ج٢ ص ١٨٦، والمنار ج٨ ص ٣٥٠، وتفسير المراغي ج٨ ص١٢١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الموضوع للمشار إليه القريب إذ قال لهما {وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ }[1] لكنه جل جلاله في سؤال العتاب قال لهما {أَلَمْ....أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ } [2] فذكرها بلفظ الاشارة الموضوع للمشار إليه البعيد. فدل ذلك على انهما ابتعدا بعد الأكل منها وانكشاف سوءاتيهما عن موقع خطيئتهما ابتعادا يصح معه أن يشار الى الشجرة باسم الاشارة الموضوع للمشار إليه البعيد ويصح معه أن يخاطب بالنداء الذي يكون للبعيد. ومعلوم ان من طبيعة المذنب إذا ظهرت عليه بعض أمارات الذنب ان يبتعد عن المكان الذي ارتكب فيه ذنبه وهذه الحركة تكون منه حركة تلقائية توجهها البديهة دون أناة في التفكير[3]. وبعد هذا العتاب الرباني لم يكن من آدم وزوجه الاّ الاعتراف لربهما بانهما قد ظلما انفسهما والحقا الاعتراف بطلب مغفرته ورحمته واستعطافه بانه ان لم يغفر لهما ولم يرحمهما فانهما ليكونان من الخاسرين حتما لأن خطيئتهما تقتضي خسارتهما بمقتضى أحكام العدل الربانية قال تعالى {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[4].وقد روي ان هذا الدعاء بالاستغفار والتوبة هو الكلمات التي تلقاها آدم من ربه[5] قال تعالى {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }[6] وهكذا تاب الله تعالى على آدم وزوجه واكتفى الله تعالى بذكر توبة آدم دون ذكر توبة زوجه حواء لأنها كانت تبعا له[7]. فالعقاب الأخروي المترتب على عصيان آدم وزوجه قد غفره الله تعالى بالتوبة وجعله محلا لاصطفائه كما قال تعالى {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى۞ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} [8] ولكن يبقى العقاب الدنيوي على تلك المعصية وهو الحدث الأهم في افرازات معركة إبليس مع آدم وهو إخراج آدم وزوجه من الجنة وهو نوع من العقاب الذي قضت به سنته تعالى بان يكون أثرا طبيعيا للعمل

---

[1] الأعراف: ١٩.

[2] الأعراف: ٢٣.

[3] ينظر دراسة نصية أدبية في القصة القرآنية . د. سليمان الطراونة . ص ٥٩ . ٦٠، ومعارج التفكر ودقائق التدبر . م٤ ص ١٤٥. وقد استنبط الاستاذ سليمان الطراونة من خلال التمايز بين اسمي الاشارة في الموقفين الى ان الشجرة قد تكون رمزا وليست حقيقة في الشيء وذكر ان القرآن لطالما استعمل الشجرة رمزا مثل الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة التي انبتت سبع سنابل... الخ أقول ان ذلك ليس واردا في شجرة آدم لأن الاشارة قد جاءت صريحة مما يؤكد على حقيقتها دون رمزيتها أما ما ضرب من أمثلة فان القرآن نفسه قد أفصح عن رمزية هذه الاشجار من ذكره للفظ المثال في ثناياها.

[4] الأعراف: ٢٣.

[5] ينظر جامع البيان . ج١ ص ٢٤٣، والتفسير الكبير ج٣ ص ١٩، والجامع لأحكام القرآن ج١ ص ٣٢٤.

[6] البقرة:٣٧.

[7] ينظر التفسير الكبير ج٣ ص٢٦، وينظر البيضاوي ج١ ص ٢٩٩، وتفسير ابو السعود ج١ ص٩٢.

[8] طه: ١٢١ . ١٢٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السيء مترتبا عليه [1]قال تعالى {قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ } في هذا الحكم الصادر عليهما وعلى ذريتهما الذين سيتناسلون منهما نقل لرحلة الابتلاء من الجنة المعدة في الخطة الربانية لأن تكون احدى داري الجزاء الى الأرض التي نحن فيها والمعدة في أصل الخطة الربانية لأن تكون هي مكان الابتلاء وان الخلود السعيد لا يكتسب بالأكل من شجرة أو مادة ما فيها اكسير الخلود السعيد وإنما يكون بالعمل الارادي الذي يتحقق به رضوان الله رب الأكوان والمهيمن على كل شيء فيها بعلمه وحكمته وقدرته والمجري احداثها بقضائه وقدره وخلقه[2] والأمر بالهبوط موجه لآدم وزوجه عليهما السلام وإبليس عليه اللعنة[3].أما وجه العداوة الكائنة بين بني آدم بعضهم مع البعض الآخر فهو راجع الى التكوين النفسي للناس القائم على حرية ارادة الفرد وعلى اختلاف المصالح والأهواء والشهوات والمطالب وعلى تعارضها وتباينها مع التزاحم والتنافس وما في النفوس من تحاسد من شأنه أن تظهر بينهم العداوات وهي عداوات تكون بين الافراد وبين الجماعات الصغرى ثم بين الأقوام والأمم وهي تظهر في شتى أنواع سلوكهم وتحركاتهم حتى تصل إلى مكايد كثيرة بينهم وإلى خصومات شديدات ثم إلى مقاتلات وحروب كبرى وهكذا كان واقع حال الناس في تاريخهم الطويل[4].

انتهت المعركة إذن بالتوبة على آدم وباهباطه إلى الأرض وشتان بين معصية آدم وإبليس فآدم عصى وندم وابليس عصى وتكبر ولم يندم من هنا أصبح من المرجومين المطرودين الى قيام الساعة. بعد هذا العرض لتفاصيل المعركة الأولى بين الانسان والشيطان والذي نتج عنه استحكام العداء بين الشيطان والانسان.علينا أن نعرف أن الجنة هي ميدان الصراع الأول وان الأرض ستكون هي ميدان المعركة الثانية وسيقوم إبليس فيها بتطبيق افعاله الذميمة ووسائسه القبيحة على ذرية آدم، وهذا ما اقتضته الحكمة الألهية، ليكون ابتلاء الله تعالى للبشر على أوسع نطاق، فالانسان هو خليفة الله على هذه الأرض، والشيطان هو مصدر الشر وهدفه ان يعرقل مسيرة الانسان في قيادته الأرض الى الاصلاح والاعمار، فالأرض هي ميدان الصراع الدائمي، وإبليس يتحين كل الفرص للإيقاع بهذا الانسان. فقضية ( ان الشيطان هو عدو الانسان الأول ) هي حقيقة واقعية لا يمكن للانسان أن ينساها أو يغفل عنها ويجب عليه الاّ تفوته العبرة المتوخاة من قصة معركته الأولى مع إبليس عندما أخرج أبويه من الجنة كما ذكرها

---

[1]) ينظر تفسير المنار ج٨ ص٣٥١، وتفسير المراغي ج٨ ص١٢٢.

[2]) ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر م ٤ ص ١٤٦ . ١٤٧.

[3]) ينظر الجامع لأحكام القرآن ج١ ص ٣١٩.

[4]) ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر م٤ ص١٤٩، ويشير السيد الميداني الى ان العداء في النص بين الشيطان وبني آدم لأن الاشارة الى عداوة الشيطان قد جاءت في قوله تعالى {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى }. طه١١٧. ولكن أقول لا محظور ان قلنا ان العداوة بين بني الانسان بعضهم مع البعض الآخر نابجة عن تحرش الشيطان بينهم وعداوته لهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القرآن الكريم[1]. وإبليس في قصة صراعه الأولى مع الانسان قد بذر بذور سنراها واضحة في صور الصراع الأخرى التي جاءت تبعا بعد قصة الصراع الأولى فهو قد بذر بذور الاستعلاء والتحقير كما شاهدناها في مقولته (أنا خير منه ) فهذه المقولة كان لها أثرها في بروز فقه الاستعلاء والتحقير لدى طائفة من الناس كما عرضناها فيما سبق وكذلك فانه بذر بذور المتاجرة بالدين وجدنا ذلك واضحا في قوله { لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ } فكل الذين ظهروا بعد ذلك وتاجروا بالدين وحرفوا الكلم عن مواضعه فانما زادهم كان من فقه الشيطان الذي كمن لهم على الصراط المستقيم فهو قد عمل عرقلة طريق العبادة التي من أجلها خلق الله الجن والانس قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[2] أي الغرض العبادة بمعنى كونهم عابدين الله لا كونه معبودا [3]فقد قال (لِيَعْبُدُونِ) ولم يقل: لأعبد أو لأكون معبودا لهم فالله هو المعبود الحق...وهو سبحانه قد بين للجن والانس كيف يعبدوه فالعبادة هي ان تعبد الله كما يريد الله وإبليس أدلى بدلوه في اتجاهين..الاتجاه الأول انه وسوس للإنسان بعيدا عن المعنى المقصود (لِيَعْبُدُونِ) ونصب خيمته في مربع لأكون معبودا لهم ووفقا لتصورات هذا المربع تم عبادة الاصنام والطاغوت على امتداد المسيرة البشرية والاتجاه الثاني وسوس للإنسان ليعرقل المسيرة نحو المعنى المقصود لقوله تعالى (لِيَعْبُدُونِ ) فالله تعالى بين لعباده كيفية عبادته على لسان رسله عليهم السلام ولما كانت دعوة الرسل على صراط مستقيم فإن إبليس نصب له خيمة على هذا الصراط مهمتها الصد عن سبيل الله وعرقلة الطريق امام العبادة الحقة وتلاميذ إبليس على هذا الصراط هم المنافقون على امتداد التاريخ الانساني فالمنافق يسير على الصراط المستقيم عند العرض على الله يوم القيامة[4] فهذا بعض إيحاء قوله تعالى { لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ }.وبذر كذلك بذور المتاجرة بالشهوات فهو قد انطلق في ذلك من فقه التزيين والاغواء فهذا الفقه وحده يحافظ على الشذوذ وينقله من عصر الى عصر تحت حماية فقه الاحتناك وفقه التزيين والاغواء جاء في قوله {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ }[5] وفقه الاحتناك جاء في قوله تعالى {قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً }[6] ومفهوم (لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ) أي لأزينن لهم الباطل أو لأزينن لهم المعاصي والمراد بالتزين لهم في الأرض

---

[1]) ينظر في ظلال القرآن: م٤ ص ٢٣٥٥.

[2]) الذاريات: ٥٦.

[3]) ينظر الكشاف ج٤ ص ٤٠٨، والتفسير الكبير ج٢٨ ص٢٠٠، وتفسير ابي السعود ج٨ ص ١٤٤، والجامع لحكام القرآن ج١٧ ص ٥٥ . ٥٦.

[4]) ينظر الانحرافات الكبرى . سعيد ايوب . ص ١٩. ٢٠.

[5]) الحجر: ٣٩.

[6]) الاسراء: ٦٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غرورهم في هذه الحياة الدنيا وهو السبب القريب للإغواء[1].

فالركوبة مزخرفة وتعبر من الماضي الى الحاضر الى المستقبل وهي تحمل زخارف كل عصر وتسير قافلة الزخارف والشهوات محملة بانحرافاتها وشهواتها بضجيج أو بلا ضجيج في مجتمعات هيمن عليها فقه الاحتناك.

تلك بعض البذور التي بذرها إبليس والتي كانت صدا لكل الصراعات الأخرى معه كما سنلاحظ في صور الصراع الأخرى التي سنعرض لها بعد هذه الصورة.

[1]) ينظر تفسير الميزان . الطبطبائي . ج١٢ ص ١٦٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

## المطلب الثاني

## أصالة الصراع واستمراره

يستمر صراع الشيطان مع الانسان في الارض، ويأخذ أبعادا مختلفة، لكنه في مجمله ينطلق من البذور التي بذرها الشيطان في قصة صراعه الأولى مع الانسان، وقد جاء القرآن الكريم كاشفا لهذه الصور الأخرى من الصراع التي هي امتداد للصراع الأول، ومجمل هذه الصور يمكن تصنيفها على النحو الآتي: .

١. الجدل بالباطل والصد عن طريق الحق: سبق لنا، ذكرنا ان من البذور التي بذرها الشيطان في قصة صراعه الأولى، بذر المتاجرة بالدين، والتي من خلالها يلقي الشبه والأكاذيب، والمراء بالباطل، وبغير علم، على أوليائه، وقد ذكر لنا النص القرآني الكثير من الصور التي تندرج تحت هذا الاطار، قال تعالى { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ }[١]، الآية تتحدث عن ايحاء... الشياطين لأوليائهم من أجل المجادلة بالباطل، والقاء الشكوك والشبه، حول المنهج الحق، وقد جاءت روايات في أسباب النزول تبين لنا حقيقة هذا الأمر، فقد ذكر ان الشياطين المشار اليهم في هذه الآية شياطين فارس من المجوس، وان أولياءهم هم المتمردون من مشركي قريش. فقد أرسلت فارس الى اوليائها من قريش، ان جادلوا محمدا ﷺ واصحابه، حول أكل الميتة، وكانوا يسمونها قتل، الله. فقالوا: ما قتل الله لا تأكلونه وما قتلتم تأكلون؟ وفي رواية قال المشركون للرسول ﷺ: أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: (( الله قتلها )) قالوا: فتزعم ان ما قتلت أنت، وأصحابك حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله: { وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ}[٢]، وفي رواية أخرى قالوا: ما قتل الصقر والكلب فتأكلونه، وأما قتل الله فلا تأكلونه؟ فوقع في نفوس بعض المسلمين شيء فأنزل الله الآية [٣]، ونزلت أيضا آية {شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً} [٤] فهذه الروايات عن مناسبة الآية تبين بوضوح، ان الشياطين يوحون لأوليائهم، والوحي الاشارة السريعة، والالهام الخفي، والمراد به في الآية الوسوسة، وسمي وحيا لأنه يكون خفية فيما بينهم[٥]، وقد أخرج الطبري . رحمه الله . بسنده الى ابن

---

[١] الأنعام: ١٢١.

[٢] الأنعام: ١٢١.

[٣] ينظر جامع البيان . الطبري . ج٨ ص١٦ .١٧، وفتح القدير . الشوكاني ج٢ ص ١٥٨، وسنن الترمذي ج٥ ص٢٦٣، وقال حسن غريب.

[٤] الانعام: ١١٢، وينظر جامع البيان . الطبري ج٨ ص٥.

[٥] ينظر المفردات . الراغب الاصفهاني ص ٥١٥، ومختار الصحاح ص ٢٩٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زميل[1]: قال (كنت قاعدا عند ابن عباس، فجاءه رجل من أصحابه، فقال يا ابن عباس: زعم ابو اسحاق انه أوحي اليه هذه الليلة، يعني المختار بن ابي عبيد، فقال ابن عباس: صدق:فنفرت فقلت يقول ابن عباس صدق! فقال ابن عباس: هما وحيان: وحي الله، ووحي الشياطين ليوحون الى أوليائهم) [2] إذن فهؤلاء الشياطين يوسوسون في صدور أوليائهم، طالبين منهم الجدال بالباطل، معاندة لله ورسوله ﷺ، من غير دليل أو برهان، والقاء للشبه والشكوك، وهؤلاء الاولياء يتمركزون في قلب الاجتماع البشري، ويمثلون سلوكا بشريا متخلفا وضارا[3]. وهذا النص يبين لنا بوضوح، ان ظاهرة شياطين الفكر من المستعمرين الذين يثيرون الشبهات حول الاسلام، وظاهرة أوليائهم من العرب . أو العملاء حسب لغة العصر الحديث . الذين يشيعون هذه الشبهات. ظاهرة قديمة حديثة. فالعرب كانوا وما زالوا يتلقون القضايا الفكرية من شياطين الخارج، ففي الماضي يتلقون المعتقدات والشبهات من فارس، والروم، واليوم يتلقونها من الغرب، والشرق، ولا عاصم لهم الاّ الاسلام. ثم جاء التعقيب في الآية، على عقوبة الاستمرار في اتباع وحي الشياطين، في المجادلة والقاء الشبه، بالدخول في الشرك، وفي ذلك اشارة الى نهاية هذا الصراع، والسجال، فقد نسبهم الى الشرك إذا استمروا على هذه الطاعة، فجاء تأكيد ( الخبر بـ ( إنّ ) لتحقق التحاقهم بالمشركين، اذا أطاعوا الشياطين، وإن لم يدعوا لله شركاء، لأن تخطئة أحكام الاسلام تساوي الشرك، فلذلك أحتيج الى التأكيد ) [4]، وهكذا يفهم ان اتباع الشياطين في ايحائهم بالباطل؛ إنما هو شرك، أو قل مؤدٍ الى الشرك، وموصول إليه، وكلا الأمرين خطير. وقريب من هذا المعنى قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [5]، ففي هذه الآية تسلية للنبي ﷺ بسبب ما لقيه من عداء قومه، ومخاصمتهم، وجدالهم، إذ تبين ان هذا العداء، وتلك الخصومة ليستا خاصتين بك يا محمد، بل هي حاصلة لكل نبي سبقك، ولذلك فانه يجب عليك ان تصبر كما صبروا؛ لأن هذه هي سنة الله في الانبياء قال تعالى: { وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ } [6]، وقال تعالى {مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ }[7]، وقال أيضا

---

[1] ابو زميل: سماك بن الوليد الحنفي اليمامي ثم الكوفي، ليس به بأس، أخرج له البخاري في الادب المفرد. ومسلم والاربعة في السنن . ينظر تقريب التهذيب ص ٢٥٦ رقم الترجمة (٢٨).

[2] جامع البيان . ج٨ ص٢٠.

[3] ينظر أهداف التربية الاسلامية . د. ماجد عرسان الكيلاني . ص٣٤٩ والاتباع انواعه وآثاره في بيان القرآن . محمد بن مصطفى السيد . مؤسسة صلاح السليم . ط١ . ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢ م ج٢ ص ٥٢٩.

[4] التحرير والتنوير . ج٨ ص ٤١.

[5] الأنعام:١١٢.

[6] الأنعام:٣٤.

[7] فصلت:٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ }[1] والحاصل ان عداوة الشياطين من الجن والانس للأنبياء، قديمة قدم دعوات الأنبياء، وقد صورت الآية هذه العداوة بصورة استعارية، فهؤلاء الشياطين عندما يلتقون مع بعضهم الآخر يعلمون بعضهم الآخر طرائق الإضلال، وجاء التعبير عن هذه الطرائق بـ (زُخْرُفَ الْقَوْلِ)، والزخرف كما هو معلوم التزيين للشيء[2]، الاّ ان هذا التزيين يظل (خارجيا )، و ( سطحيا )، ولا علاقة له بمضمون الاشياء، وهذا ما نلاحظه من الزخرف الذي توش به العمارات، إذ انه مجرد تزيين خارجي لا علاقة له بمتانة العمارة، وأحكامها، وإذا نقلنا هذه الحقيقة الحسية الى صعيد الافكار، أو الاقوال، أو المعاملات، نجد ان اعارتها من صعيدها الحسي الى صعيدها المعنوي، يحمل أهمية فنية كبيرة، نظرا للتماثل بين ما هو معنوي من الحقائق، وامكانية تمويهها، وبين ما هو مادي، وإمكانية تمويهه من خلال الزخرف. فمهمة الشياطين اغواء الناس، والاغواء ايصال الاشياء الى الآخرين بخلاف حقائقها، لكن بطرق خاصة تعتمد تمويه الحقائق، ولذلك فان عملية التمويه للحقائق، تتناسب مع عملية (الزخرفة ) حيث تجد ان الزخرفة الحسية، تضيف جمالية ظاهرة على هذه العمارة أو تلك، فيما تخفي تحتها أما بناءا غير متماسك، أو تشويها وقبحا ملحوظين، وكذلك الزخرف من القول. وهنا ينبغي أن تلحظ أيضا ان أهمية هذه الصورة الاستعارية، (زُخْرُفَ الْقَوْلِ )، تتمثل في كونها أهمية مزدوجة، فهي من جانب تشير الى ان ما توحي به الشياطين مطلقا هو (زخرف) أي: أن ما يوسوس به الشيطان للناس هو كلام مزخرف، ومن جانب آخر تشير الى أن ما يوحي به الشياطين بعضهم الى بعض، هو كلام مزخرف أيضا، وهذا ما لم تصرح به الصورة مباشرة، بل تتركنا نحن نستخلص ذلك، وهو أمر يضفي مزيدا من الجمالية على الصورة المشار اليها[3]. فالشياطين تلقي قولا مزيّن ظاهره، باطل باطنه، فهذه الآية وما تحتها من معاني عظيمة بينت لنا أصول الباطل، ونبهتنا على مواقع الحذر منها وعدم الاغترار بها، واذا ( تأملت مقالات أهل الباطل، رأيتهم قد كسوها من العبارات، وتحبروا لها من الالفاظ الرائقة، ما يسرع الى قبوله كل من ليس له بصيرة نافذة، وأكثر الخلق كذلك )[4]، ونحن إذ ننظر الى هذه الآية نرى كانها نزلت ( لهذا العصر الذي أصبح فيه لوسائل الاعلام سلطان كبير، وتأثير شديد على الناس، لقد وجه شياطين الإنس من أعداء الإنسان بوحي من شياطين الجن، كثيرا من وسائل الاعلام المسموعة، والمرئية، والمقروءة، الى الشعوب الاسلامية، ليفتنوا المسلمين عن دينهم، وأخلاقهم، وقد ملؤوها بالبرامج المزخرفة المموهة، التي تستهدف في

---

[1]) الفرقان:٣١.

[2]) ينظر المفردات . ص٢١٢، والجامع لأحكام القرآن . القرطبي . ج٧ ص ٦٧، وتفسير ابن كثير ج٢ ص ١٦٧ وتفسير القاسمي ج٧ ص ٦٨٨. ٦٨٩.

[3]) ينظر دراسات فنية في صور القرآن . د. محمود البستاني . ص١٧٢ . ١٧٣.

[4]) بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية . جمع يسري السيد محمد طبعة دار ابن الجوزي . الدمام . ط١ . ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م ج٢ ص ١٧٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حقيقتها تشكيك المسلمين بدينهم، وإشاعة الفواحش، والفجور في مجتمعاتهم )[1] والنص يطلعنا بجملة من الحقائق، يمكن لنا أن نقف معها، في دورة الصراع التي لا تنتهي مع الباطل، انه يقرر اولا:ان الذين يقفون بالعداوة لكل نبي، ويقفون بالأذى لأتباع الأنبياء هم شياطن . شياطين من الانس والجن . وإنهم يؤدون جميعا وظيفة واحدة، وان بعضهم يخدع بعضعا، ويضله كذلك، مع قيامهم جميعا بوظيفة التمرد، والغواية، وعداء أولياء الله، ويقرر لنا ثانيا أن هؤلاء الشياطين لا يفعلون شيئا من هذا كله، ولا يقدرون على شيء من عداء الانبياء، وايذاء أتباعهم بقدرة ذاتية فيهم، إنما هم في قبضة الله، وهو يبتلي بهم اولياءه، لأمر يريده من تمحيص هؤلاء الاولياء، وتطهير قلوبهم، وامتحان صبرهم على الحق الذي هم عليه أمناء، ويقرر ثالثا: ان حكمة الله الخالصة هي التي اقتضت ان يترك لشياطين الانس، والجن ان يتشيطنوا فهو إنما يبتليهم في القدر الذي تركه لهم من الاختيار، والقدرة . وان يدعهم يؤذون أولياءه فترة من الزمان، فهو إنما يبتلي أولياءه كذلك لينظر: أيصبرون؟ أيثبتون؟ على ما معهم من الحق بينما الباطل ينتفش عليهم، ويستطيل، ويقرر لنا رابعا: هوان الشياطين من الانس، والجن، وهوان كيدهم واذاهم، فما يستطيلون بقوة ذاتية لهم، وما يملكون أن يتجاوزوا ما أذن الله به على ايديهم، والمؤمن الذي يعلم ان ربه هو الذي يقدر، وهو الذي يأذن خليق أن يستهين بأعدائه من الشياطين؛ مهما تبلغ قوتهم الظاهرة، وسلطانهم المدعى ومن هنا جاء هذا التوجيه العلوي لرسول الله الكريم (صلى الله عليه وسلم ):( فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ )، دعهم وافتراءهم فأنا من ورائهم قادر على أخذهم، مدخر لهم جزاءهم، والتقرير الخامس المهم في العرض لهذه الصورة من الصراع هو ما نلمسه في قوله تعالى {وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ }[2]، أي لتستمع إلى ذلك الخداع، والايحاء قلوب الذين لا يؤمنون بالأخرة، فهؤلاء يحصرون همهم كله في الدنيا، وهم يرون الشياطين في هذه الدنيا يقفون بالمرصاد لكل نبي، وينالون بالأذى كل نبي، ويزين بعضهم لبعض القول والفعل، فيخضعون للشياطين معجبين بزخرفهم الباطل، ومعجبين بسلطانهم الخادع، ثم يكسبون ما يكسبون من الاثم، والشر، والمعصية، والفساد في ظل ذلك الايحاء، وبسبب هذا الاصغاء[3].

فهذه جملة من التقارير أوقفنا عندها النص حتى نعرف كيف تدور رحى المعركة مع الباطل، والمشهد الذي يرسمه القرآن لهذه المعركة يتمثل في انها ( معركة تتجمع فيها قوى الشر في هذا الكون.... شياطين الانس والجن...تتجمع في تعاون، وتناسق لإمضاء خطة مقررة هي عداء الحق الممثل في رسالات الانبياء،

---

[1]) بصائر الحق في سورة الانعام . عبد الحميد طهماز . ص ١٠٧.

[2]) الأنعام:١١٣.

[3])ينظر في ظلال القرآن . سيد قطب . م٣ ص ١١٩٠، وينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . عبد الرحمن بن ناصر السعدي . ص ٢٧٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وحزبة.....خطة مقررة فيها وسائلها..{ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً } يمد بعضهم بعضا بوسائل الخداع، والغواية، وفي الوقت ذاته يغوي بعضهم بعضا ! وهي ظاهرة ملحوظة في كل تجمع للشر في حرب الحق وأهله..ان الشياطين يتعاونون فيما بينهم، ويعين بعضهم بعضا على الضلال أيضا ! إنهم لا يهدون بعضهم البعض الى الحق أبدا، ولكن يزين بعضهم لبعض عداء الحق، وحربه، والمضي في المعركة معه طويلا ) [1].

وقريب من هذه الصورة من الصراع وضمن هذا الاطار قوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }[2].لهذه الآية قصة طويلة، وفيها خلاف كبير، وهي ما يعرف بقصة الغرانيق ولن أدخل في تفاصيلها من حيث الصحة وعدمها؛ فان ذلك يرجع إليه في مظانه، والمهم ان الآية تصور لنا عداوة الشيطان المتحكمة للأنبياء، وأتباعهم فهذا النبي ما ان يتمنى هداية قومه، أو يقرأ أمرا، أو يحدث حديثا الاّ (أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ )، بان يحاول تغيير حديثه، وتحريفه، أو بان يحاول الوسوسة في قلب ذلك النبي بان يجعله ييأس من هداية قومه، أو في قلب الناس بان يأمرهم بالكذب، والعصيان، فيروج في نفوسهم الشكوك، والشبهات، التي تصدهم عن الهدى، وذلك قريب من زخرفة القول الذي يتنمق الشيطان بالقائه على مسامع الناس، لينصرفوا عن طريق الحق، فكأن هذه الآية مع التي قبلها تشكل بناء فنيا متكاملا، لإعطاء الصورة الحقيقية للصراع مع الشيطان[3]. ثم ينسخ الله ذلك بأن يفضح كلام الشيطان، ووسوسته، ويحكم آياته بان يزيدها وضوحا، وبرهانا يخلصها من الباطل الذي علق بها عن طريق وسوسة الشيطان، وهذه الآية كانها إفصاح وبيان لما ورد في الصورة السابقة من صور الصراع الشيطاني عند قوله تعالى (فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ )، فهذه الآية كانها تقول للنبي ﷺ اتركهم ولا تبال بخداعهم، وأكاذيبهم فان الله يحكم آياته بأن يزيدها وضوحا، وبرهانا، ويخلصها من الباطل[4].

مرة أخرى يعرض لنا النص لوحة فنية تدل على تكامل البناء الفني للنص القرآني، وانه يكمل بعضه البعض الآخر، ويوضح بعضه البعض الآخر، سواء أكان ذلك من الناحية الفنية أم من الناحية الفكرية؟ ولا يخفى ان في هذه الآية تثبيتا للرسول محمد ﷺ، وتسلية وذلك حين يعلم بان ما يحصل له من العناد، والتكذيب، وما يلقيه الشيطان من التحريف، والتبديل وقد حصل لغيره من الامم السابقة، وقد أفاد ذلك

---

[1])في ظلال القرآن . م٣ ص ١١٩٠.

[2])الحج: ٥٢.

[3])ينظر التفسير الكبير . الرازي ج٢٣ ص ٤٥، والكشاف . الزمخشري ج٣ ص ١٦٧، والاتباع انواعه وآثاره في بيان القرآن . محمد بن مصطفى السيد . ج٢ ص ٥٢١ . ٥٢٢.

[4])ينظر اضواء البيان . الشنقيطي ج٥ ص ٢٨٥ . ٢٨٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عموم قوله (مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ)، وهذا من شأنه (أن يبعد اليأس عن قلبه ﷺ، وان يكون حافزا له على زيادة ما كلف به من الدعوة الى الله، والصبر على الأذى في ذلك[1]. فالآية تبين لنا بوضوح ( ان الانبياء والرسل يرجون اهتداء قومهم ما استطاعوا، فيبلغونهم ما ينزل اليهم من الله، ويعضونهم ويدعونهم بالحجة، والمجادلة الحسنة حتى يظنوا ان امنيتهم قد نجحت، ويقترب القوم من الايمان كما حكى الله عن المشركين قولهم {أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً۞ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا } [2]، فيأتي الشيطان فلا يزال يوسوس في نفوس الكفار، فينكصون على اعقابهم، وتلك الوساوس ضروب شتى من تذكيرهم بحب الهتهم، ومن تخويفهم بسوء عاقبة نبذ دينهم، ونحو ذلك من ضروب الضلالات التي حكيت عنهم في تفاصيل القرآن، فيتمسك أهل الضلالة بدينهم، ويصدون عن دعوة رسلهم، وذلك هو الصبر الذي في قوله (لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا)، وكلما أفسد الشيطان دعوة الرسل أمر الله رسله فعادوا الارشاد وكرروه، وهو سبب تكرار مواعظ متماثلة في القرآن، فبتلك المعاودة ينسخ ما القاه الشيطان، وتثبت الآيات السالفة ) [3].

ان طريق القاء الشبه، وتزوير الحقائق إحدى طرق الشيطان في الصد عن سبيل الله، وهذه الشبه لا تفعل فعلها الاّ عند ضعاف الايمان، أو من كان الجهل ضاربا أطنابه لديه، لأن من كان ايمانه قويا، ومن كان لديه علم، فإن الشيطان لا يتمكن من صد هذا عن الحق مهما أوتي من قوة، لشدة حفظ الله تعالى لهذا ولذلك قال تعالى {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ }[4]، أي فتنة لمن في قلبه مرض بسبب ضعف الايمان[5]، أي ان هؤلاء يعانون من ( ضعف، وعدم ايمان تام وتصديق جازم، فيؤثر في قلوبهم أدنى شبهة تطرأ عليه، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان داخلهم الريب، والشك فصار فتنة لهم، (وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) أي الغليضة التي لايؤثر فيها زجر، ولا تذكير ولا تفهم عن الله، وعن رسولهﷺ لقسوتها فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان جعلوه حجة لهم عن باطلهم، وجادلوا به وشاقوا الله ورسوله ) [6] انها صورة نفسية شاخصة لحال هؤلاء الذين يتقبلون الشبه، ويجعلون ما يلقيه الشيطان حجة، فهؤلاء صنفان من الناس، ضعف مريض القلب تؤثر فيه أدنى شبهة تطرأ عليه، وصنف قاسي القلب لا يؤثر فيه زجر ولا تذكير، وبهذا التصنيف تظهر الصورة الفنية واضحة جلية إنه اختبار لقلوب الناس في ايمانهم. وهاك

---

[1]) ينظر الاتباع انواعه وآثاره في بيان القرآن . ج٢ ص ٥٢٢.

[2])الفرقان: ٤١ . ٤٢.

[3])التحرير والتنوير . ابن عاشور . ج ١٧ ص ٣٠٠.

[4])الحج: ٥٣.

[5])ينظر ارشاد العقل السليم ج٦ ص١١٤، واختصار النكت . ج٢ ص ٣٦٢، وأضواء البيان . الشنقيطي . ج٥ ص ٢٨٨.

[6])تيسير الكريم الرحمن . ابن السعدي ص ٥٤٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صورة أخرى لهذا الصراع وضمن نفس الإطار إطار المجادلة بالباطل والصد عن طريق الحق، قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ }[1]. ان النص يتحدث عن فريق من المنحرفين، ممن ينطلق من نزعة مرضية هي ( المجادلة )، والعناد ونحن نعرف ان المجادلة بغير علم هي تعبير عن الالتواء النفسي، انها تغطية أو قناع لما تتستر به الشخصية من أحاسيس النقص، والشعور بالدونية، وما يستتبع ذلك من الصراعات التي تبحث لها عن منفذ الى الخارج، فتلجيء حينئذ إلى أحد أشكال التعبير عن المرض الآ وهو الجدال بغير علم، ان النص يتناول هذا النمط من الناس ويقرر بأن هؤلاء يجادلون في الله بغير علم، ويتبعون كل شيطان مريد أي متعري من الخيرات من قولهم شجر أمرد، إذا تعرى من الورق، ومنه قيل رملة مرداء لم تنبت شيئا[2]. فهذا التوصيف للشيطان يتناسب مع طبيعة هؤلاء الذين يجادلون متعرين من العلم، لأنهم اتبعوا الشيطان الذي هو متعري من كل خير وعلم[3]، فهل رأينا كيف وافق القرآن بين حال هؤلاء، وحال شيطانهم انها صورة فنية قرآنية رائعة تدل على التناسق الفني للنص القرآني، ثم يقول النص القرآني عن هؤلاء المرضى بانهم إذا تولوا الشيطان فانه سيظلهم، ويوصلهم الى عذاب السعير، وهذا الجزاء هو نتيجة لما قدمت أيديهم لأنهم اتخذوا الشيطان المريد دليلا وهاديا لهم، فأوصلهم الى هذه النتيجة. إذن الصور السابقة من الصراع كانت تتحرك ضمن اطار الجدل بالباطل، والصد عن طريق الحق بمحاولة القاء الشبه والشكوك حول الحق وأهله، والآن ننتقل إلى إطار آخر تحرك فيه الشيطان لتنفيذ خطته الشيطانية في الإضلال.

٢. التزيين للأعمال: سبق لنا أن ذكرنا ان من معالم الخطة الشيطانية التي اختطها في قصة الصراع الأولى، معلم التزيين والمتاجرة بالشهوات، ذلك ان من كيده للإنسان أنه يورده موارد الهلاك التي يخيل اليه أن فيها منفعته، ثم يصدره على المصادر التي فيها عطبه وهلاكه، ويتخلى عنه بعد ذلك ويشمت به[4]، فتزين الشيطان للباطل يتم بان يستعين الشيطان بالنفس فيحثها على الشهوة، وعلى هواها[5]، ويرى الانسان عمله حسنا فلا يفكر فيه ولا يفتش في عمله ليرى مواضع الخطأ، والنقص فيه لانه واثق من انه لا يخطئ، متأكد انه دائما على صواب، معجب بكل ما يصدر عنه مفتون بكل مايتعلق بذاته، هذا هو

---

[1] )الحج: ٣.

[2] )المفردات في غريب القرآن . الاصفهاني . ص ٤٦٦.

[3] )ينظر ارشاد العقل السليم ج٦ ص ٩٢، و اختصار النكت ج٢ ص ٣٤٤، ودراسات فنية في صور القرآن . د. محمود البستاني . ص ٤٠٢ . ٤٠٣.

[4] )ينظر اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . ابن قيم الجوزية . تحقيق محمد عفيفي . المكتب الاسلامي . بيروت . ط٢ . ١٤٠٩هـ . ١٩٨٩م . ج١ . ص ١٠٨.

[5] )ينظر تلبيس ابليس . ابن الجوزي . تحقيق السيد الجميلي . دار الكتاب العربي . بيروت . ط١ .١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م . ص ٣٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البلاء الذي يصبه الشيطان على الانسان، والذي يقوده الى الضلال[1].وقد بين هو بنفسه معالم فقهه هذا قال تعالى { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}[2]، أي احبب اليهم المعاصي، وارغبهم فيها، وأأزهم اليها، وازعجهم اليها ازعاجا، واليك التطبيق العملي لهذا الفقه الشيطاني كما ذكرته النصوص القرانية. قال تعالى {فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[3]، الاية تبين أن الله سبحانه وتعالى اخذ هؤلاء القوم بالباساء والضراء، لعلهم يتضرعون، ولكنهم لم يتضرعوا بسب قساوة قلوبهم، واذا كان النص القراني يتحدث عن أمم أرسل الله لها رسلا، فانه يتحدث في ذلك عن جانب من أسرار سنته وقدره لنأخذ نحن حذرنا، ونتعظ وندرك ما وراء الواقع التاريخي من عوامل كامنة وأسباب ظاهرة، افتتح النص بـ ( لولا) التي تفيد انه ما كان لهم من عذر في ترك التضرع الاّ عنادهم، وقسوتهم، وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم[4]، وقسوة القلب هذه كانت خير معين للشيطان على الوسوسة والنفث؛ إذ زين لهم الاستمرار على هذا الكبر والتكذيب للرسل، وتقبيح الطاعة لهم فظنوا ان ما هم عليه دين الحق فتمتعوا في باطلهم برهة من الزمان، ولعب بعقولهم الشيطان[5]. فالشيطان عندما يبرز للتزيين، يبحث عن مواضع الضعف عند الانسان فيركز عليها، ألم نرى في قصة الصراع الأولى كيف حرك في نفس أبينا آدم، وزوجه غريزة حب البقاء، فأوقعهم من خلالها في شراكه، فكذلك هو هنا وقف على نقطة الضعف عند هؤلاء انها قسوة القلب الذي تحجر ومات، ( فلم تعد الشدة تثير فيه الاحساس، وتعطلت أجهزة الاستقبال الفطرية فيه، فلم يعد يستشعر هذه الوخزة الموقظة، التي تنبه القلوب الحية للتلقي، والاستجابة، والشدة ابتلاء من الله لعبده، فمن كان حيا أيقظته، وفتحت مغاليق قلبه، وردته الى ربه، وكانت رحمة له من الرحمة التي كتبها الله على نفسه، وإن كان ميتا حسب عليه ولم تفده شيئا، وإنما استقطعت عذره وحجته، وكانت عليه شقوة وكانت موطئة للعذاب ) [6]، والحاصل من خلال الآية ان على المرء التفتيش عن قلبه بين الوقت والآخر، حتى لا يقسو فإن قسوة القلب سبب لولوج الشيطان إليه، وكلما كان القلب لينا متأثرا بالمواعظ رجّاعا الى الحق كان أمنع من وسوسة الشيطان، وكلما كان قاسيا جلمدا كالصخر كان أسهل لدخول الشيطان، وهذا ما أشار إليه أيضا الحديث النبوي الشريف (( الآ ان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، الآ وهي

---

[1])في ظلال القرآن . م٥ ص ٢٩٢٧.

[2])الحجر:٣٩.

[3])الانعام:٤٣.

[4])ينظر التفسير الكبير . الرازي . ج١٢ ص ١٨٥، والاساس في التفسير . سعيد حوى . م٣ ص ١٦٣٠.

[5])ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . ابن السعدي ص ٢٥٦.

[6])ينظر الاتباع أنواعه وآثاره في بيان القرآن . محمد بن مصطفى السيد ج٢ ص ٥٢٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القلب ))[1]، إن هذا التعبير هو أبلغ ما يقال في الموضوع، فإن صلاح القلب صلاح الجسد، وإن فساد القلب فساد للجسد، وبه تتضح الخطة الشيطانية في التزيين. ومن تزيين الشيطان أيضا ما نجده في قوله تعالى {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[2]، فالشيطان هنا يزين لكفار قريش قتال المسلمين ويبين لهم انه جار لهم، ومعين، وقد ذكر أهل التفسير في هذا التزيين وجهين: أحدهما: انه الشيطان وسوس لهم من غير تمثيل في صورة إنسان، وثانيهما: ان ظهر لكفار قريش في صورة انسان، لأنهم لما أرادوا السير الى بدر لقتال المسلمين خافوا من بني كنانة، أن يأتوهم من ورائهم، فتمثل ابليس اللعين في صورة سراقة الكناني، وقال لكفار قريش: أنا جار لكم من بني كنانة، فلا يصل اليكم مكروه منهم فقوله (وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ) على الحقيقة ومعنى الجار هنا الدافع للضرر عن صاحبه[3]. فهذه عادته ـ لعنه الله ـ إذ يحسن للناس عمل المنكر، ويطمعهم فيه، كما في هذه المعركة ثم يتخلى عنهم في أشد حاجتهم إليه، وفي أحلك الظروف، ويسلمهم الى أعدائهم، لأنه قضى وطره، وحصّل مأربه منهم هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فانه يتبرأ أشد البراءة، ويوردهم شر الموارد ( إني كفرت بما أشركتموني من قبل ) [4] ، فانظر كيف صور اعراضه وتراجعه بعد ان كان واعظا مزينا الاعمال لهؤلاء المغترين، لقد عبّر عن ذلك بـ الفعل ( نكص )، الذي هو الإحجام مصحوب بسرعة تخلي، وترك للآخر، وهكذا هو الشيطان ( مع كل أوليائه فانه يدعوهم، ويدليهم بغرور الى ما يضرهم حتى اذا وقعوا في الشباك، وحاق بهم أسباب الهلاك تبرأ منهم وتخلى عنهم )[5]. ولا لوم على الشيطان لأنه عدو، ومن الطبيعي ان يخطط العدو للايقاع بخصمه، ولكن اللوم كل اللوم على من يتبع هذا التزين، ويطبعه فيه فهذا من أعجب العجب !.ومن باب التزين للأعمال أيضا ما جاء في قوله تعالى {وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ}[6].في هذه الصورة الشاخصة يقف مخلوق لا يعقل ليبدي استغرابه، وألمه وغيظه من فعل أقدم عليه من يعقلون انه فعل السجود ( للشمس والقمر من دون الله، فما أروع هذا الهدهد العجيب في استنكاره سجود القوم للشمس من دون الله، وما أروع تعليله لضلالهم بأن الشيطان زين لهم أعمالهم، فأضلهم فهم لا يهتدون الى عبادة الله العليم الخبير، ولا شك ان الله سبحانه هو الذي ألهم الهدهد، وهداه الى معرفته ووجوب السجود، له

---

[1])صحيح البخاري كتاب الايمان ـ باب فضل من استبرأ لدينه ج١ ص ٢٨ ـ عن النعمان بن بشير.

[2])الأنفال: ٤٨.

[3])ينظر جامع البيان ـ الطبري ـ ج١٠ ص٢٠، وتفسير القاسمي ج٨ ص ٧٣ ـ ٧٤.

[4])الأنفال:٢٢.

[5])تيسير الكريم الرحمن ـ ابن السعدي ـ ص ٨٥٣.

[6])النمل: ٢٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما ألهم وهدى غيره من الطيور، وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي يكاد العقلاء الرجاح لا يهتدون لها، بل ان ادلة التوحيد التي جاءت على لسان هذا الهدهد لمما يسترعي الانتباه، ويملأ النفس ايمانا بالحقيقة، حيث تأتي الحقيقة على لسان هدهد في الوقت الذي يغفل عنها الانسان، فالهدهد هنا قد مثل دور الداعية الحريص على هداية الناس، ولكنهم ساروا خلف تزين الشيطان لأعمالهم، فتصوروا ما هم فيه أو عليه هو الحق[1]. وإذا كان هناك من شيء يتوقفنا في كلام الهدهد هذا، فطانته الى ان الحامل لهم على هذا الفعل، هو ( تزين الشيطان لهم أعمالهم حتى صدهم عن السبيل المستقيم، وهو السجود لله وحده، ثم أخبر ان ذلك الصد حال بينهم وبين الهداية، والسجود لله الذي لا ينبغي السجود الاّ له )[2].

وفي مسيرة التزين الشيطاني يطالعنا النص القرآني بإشارة فيها نوع من التسلية، والتثبيت للنبي ﷺ، هذه الإشارة تتمثل في ان فقه التزين الشيطاني لم يقف عند قوم، وإنما هو مستمر مع وجود المجتمع الانساني قال تعالى {تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[3]. فهذا قسم من الله تعالى بنفسه بأنه قد أرسل رسلا من قبل محمد ﷺ، دعوا الناس الى عبادة الله وحده، وترك الشرك ( فزين لهم الشيطان أعمالهم ) (( فكذبوا الرسل وزعموا ان ما هم عليه هو الحق، المنجي من كل مكروه، وان ما دعت اليه الرسل فهو بخلاف ذلك )[4]، ولما أطاعوا في تكذيب الرسل، صار الشيطان وليا لهم في الدنيا والآخرة، ولذلك قال تعالى (( فهو وليهم اليوم ))، ولا ولي لهم غيره، وبئست الولاية هذه التي تقود الى العذاب الاليم يوم القيامة، والخسران في الدنيا[5].

ومن فقه التزين أيضا ما جاء في قوله تعالى {وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ}[6]. ففي هذه الآية بيان صريح جدا يكشف عن سر ضلالهم، وهو تزين الشيطان لأعمالهم، فقد عرفهم الله الحق وما يؤدي إليه، والباطل وماذا يترتب عليه، فمن هاهنا كانوا ضمن دائرة الاستبصار، ولكن دائرة الاستبصار هذه انطفئت في صدور الذين كفروا، وذلك بعد أن زين لهم الشيطان أعمالهم، واتبعوا أهواءهم، وعلى هذا كانت دائرة العمى وعندما جاءهم رسول من ربهم كي يعيدهم الى دائرة الاستبصار صدوا عن سبيل الله، وكان الصاد لهم تزين الشيطان

---

[1])ينظر أدب القصة في القرآن الكريم . عبد الجواد محمد المحص . ٢٠٦.

[2])بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية . ج٣ ص ٣٣٨.

[3])النحل: ٦٣.

[4])تيسير الكريم الرحمن . ابن السعدي ص٤٤٣.

[5])ينظر الاتباع انواعه وآثاره في بيان القرآن . ج٢ . الاتباع المذموم . ص٥٢١.

[6])العنكبوت: ٣٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لأعمالهم[1]. فهؤلاء القوم قد (كانت لهم عقول، وكانت أمامهم دلائل الهدى، لكن الشيطان استهواهم، وزين لهم أعمالهم، وآتاهم من هذه الثغرة المكشوفة، وهي غرورهم بأنفسهم، واعجابهم بما يأتون من الأعمال، وانخداعهم بما هم فيه من قوة، ومال، ومتاع) [2] ولم يكن ضلالهم ناتجا عن قصور في النظر، وإنما كانوا ( أهل بصائر أي عقول فلا عذر لهم في صدهم عن السبيل، وفي هذه الجملة اقتضاء ان ضلال عاد كان ضلالا ناشئا عن فساد اعتقادهم، وكفرهم المتآصل فيهم والموروث عن آبائهم، وإنهم لن ينجوا من عذاب الله لأنهم كانوا يستطيعون النظر في دلائل الوحدانية، وصدق رسلهم ) [3].وهكذا يمضي الشيطان في تنفيذ الخطة التي اختطها على نفسه في تزين الاعمال الباطلة في أعين الناس، حتى يروها حسنة جميلة، وهي في حقيقتها قبيحة باطلة مخالفة للشرع، فالشيطان يدفعهم بهذا التزين وهذا العمل الباطل إذا كانوا مترددين في فعله، إلى فعل هذا الأمر القبيح الباطل، وإلى الثبات عليه والاستمرار فيه، إذا كانوا متلبسين به وبفعله، ورأينا في الصور التي عرضناها حقيقة هذا الأمر.

٣. الوعود والاماني الكاذبة:. ومن الاساليب التي اتخذها الشيطان لتنفيذ بنود خطته التي أختطها على نفسه، في اضلال بني آدم ومناصبة العداء لهم . الوعود والأماني الكاذبة . فهو يعدهم ويمنيهم، بالأماني الكاذبة، كإطالة العمر والحصول على الدنيا وعلى ما يشتهون، ويعدهم أيضا بالحسنى على شركهم ومعاصيهم، فوعده ما يصل الى قلب الانسان من نحو: سيطول عمرك وتنال من الدنيا لذتك، وستعلوا على أقرانك وتظفر بأعدائك، والدنيا دول ستكون لك كما كانت لغيرك [4]، وبأنه الفائز في الدنيا والآخرة الى غير ذلك من الوعود الباطلة، المحببة للنفس والتي لا يتخذ لها أسبابا، والتي غالبها يقوم على الكذب، وما لا حقيقة له[5].

فهذا معنى وعوده الكاذبة، أما الاماني فهي الاماني الكاذبة والفارغة والموهومة[6]، وقيل: طول البقاء ودوام النعيم فيها وترك التوبة[7]، وذهب الآلوسي الى انه يجوز ان يكون المعنى واحدا يفعل لهم الوعد ويفعل التمنية[8].وهذا ما ذهب اليه ايضا الشيخ محمد رشيد رضا حيث قال (( ويؤيد وعوده الباطلة بالأماني الباطلة، يلقيها اليه ولهذا أعاد ذكر الأمنية في بيان خسران، من يتخذ الشيطان وليا في قوله

---

[1])ينظر الانحرافات الكبرى . سعيد أيوب . ص ٩٢.

[2])في ظلال القرآن . سيد قطب . م٥ ص ٢٧٣٥.

[3])التحرير والتنوير . ج٢٠ ص ٢٤٩.

[4])ينظر اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . ج١ ص٦٨.

[5])ينظر تفسير المنار ج٥ ص٤٢٧.

[6]) ينظر اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . ج١ ص٦٨، وفي ظلال القرآن م٢ ص٧٦٠.

[7])ينظر تفسير القران العظيم ج١ ص ٥٥٧.

[8])ينظر روح المعاني . ج٥ ص ١٥٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ ) [1]، وقد ذكر ابن القيم فرقا بين وعد الشيطان، وتمنيته فقال: ( والفرق بين وعده وتمنيته انه يعد الباطل ويمني المحال ) [2]، وذكر بعد ذلك النفس التي تقبل هذه الوعود، والاماني الباطلة فقال: ( والنفس المهينة التي لا قدر لها تتغذى بوعوده وتمنيه كما قال القائل:

منى ان تكن حقا لكن أحسن المنى

وإلاّ فقد عشنا بها زمنا رغدا.

فالنفس المبطلة الخسيسة، تلتذ بالأماني الباطلة، والوعود الكاذبة وتفرح بها كما يفرح بها النساء، والصبيان ويتحركون لها، فالأقوال الباطلة مصدرها وعد الشيطان وتمنيته فإن الشيطان يمني أصحابها ) [3]. وهذا الذي ذكره ابن القيم رحمه الله هو الأفصح والأولى في هذا المقام، ذلك ان الله ( سبحانه وتعالى ) قد ذكر على لسان الشيطان في القرآن ان وعوده إيعادا بالباطل قال تعالى {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ }[4]....)، فقد أقر ان وعد الله حق وكل ما عدا الحق فهو باطل، فوعده باطل ، وأما الأماني فتمني المحال كالمرء يحب ان يكون له الشيء، وإن لم يتخذ له أسبابه.والآن مع هذه الصور القرآنية للوعود والأماني الشيطانية التي أغرى بها ذوي النفوس المهينة ، قال تعالى حاكيا قول الشيطان {وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً۞ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً}[5]. سبق لنا ان وقفنا على بعض ملامح هذا النص عند حديثنا عن قصة الصراع الأولى، ولكن الذي يستوقفنا هنا مما لم نشر إليه سابقا، هو حديث الشيطان عن فقه التمني عنده في إضلال بني آدم، وتعليق النص على هذه الوعود والاماني، فالشيطان بعد ان ذكر في مقدمة النص أنه سيظل بني آدم، عطف على ذلك الأماني ليبين انه سيزين لهم هذا الإضلال، وفي هذه زيادة شر الى شرهم، حيث يعملون اعمال اهل النار الموجبة للعقوبة، ويحسبون انها موجبة للجنة، وقد حكى النص القرآني انطباق هذا الفقه الشيطاني على أصناف من الناس، منهم اليهود، والنصارى، قال تعالى حاكيا عنهم {وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ}[6]، وقال تعالى {كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ }[1]، وقال

---

[1])تفسير المنار ج٥ ص ٤٣٠.

[2]) اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . ج١ ص٦٨.

[3])المصدر السابق ج١ ص ٦٨، وينظر السنن الالهية في الحياة الانسانية . د. شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب ج١ ص ١٢٥. ١٢٦.

[4])ابراهيم: ٢٢.

[5])النساء: ١١٩. ١٢٠.

[6])البقرة: ١١١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تعالى {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۞الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً}[٢]، وقال تعالى عن المنافقين انهم يقولون يوم القيامة للمؤمنين {أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}[٣].فالإقامة على الإضلال يتمثل في التنمية الباطلة، التي يلقيها الشيطان على قلب بني آدم[٤]، ثم ان الأماني التي يقذفها الشيطان في قلوب بني آدم، حتى يقوموا على الضلالة، ليست واحدة ، وإنما تتنوع وتختلف باختلاف الأشخاص، والأحوال ، قال الإمام القرطبي في قوله تعالى (وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ ) ( وهذا لاينحصر بواحدة من الأماني، لأن الشيطان يمني كل انسان بنوع من الأماني، ويقدر رغبته فيما يهواه، )[٥]. ومن الامثلة على ذلك ان من يغريه الشيطان بالقمار يمنيه بالثروة والغنى، ومن غلبت عليه شهوته في الزنا، يمنيه الشيطان بالتوبة مستقبلا وان لا بأس عليه في استمراره على الزنا، لأنه شاب وأمامه زمن طويل، يستطيع فيه أن يتدارك ما ارتكبه من الزنا، وذلك بالتوبة وان تأخرت وهكذا[٦]، ثم بين النص بعد ذلك بان أماني الشيطان ووعوده غرور قال تعالى { يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً}، أي يعد الشيطان من يسعى في إضلالهم ويمنيهم الأماني الباطلة، التي هي عند التحقيق كالسراب الذي لا حقيقة له[٧].

ولهذا قال تعالى {وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً}أي باطلا يغترون به ولا يملكون منه ما يحبون، وإيهامهم بنفع شيء ليس فيه الاّ الضرر، فالشيطان عمدته في كيده للإنسان، إنما هو في وعوده الباطلة له، وفي أمانيه الكاذبة، يلقيها في قلبه، وتلك الوعود والأماني لاتفيد الانسان الاّ غرورا والغرور هو ما يرى من ظاهر محبوب، ولكن فيه باطن مكروه، أو هو أن يظن الانسان بالشيء أنه نافع ولذيذ، ثم يتبين اشتماله على أعظم الآلآم، والمضار فيعظم تأذيه عند انكشاف الحال فيه[٨]. فوعود الشيطان وأمانيه وعود وأماني مصحوبة بالخداع والاطماع بالباطل، وهذا ما استعمله في قصة الصراع الأولى فقد جاء التعبير عنه بقوله تعالى ( فدلهما بغرور )، فوعوده باطلة وأمانيه، خادعة[٩]. فهذا النص أعطانا صورة واضحة لوعود

---

[١])الانعام: ١٠٨.

[٢])الكهف: ١٠٣ . ١٠٤.

[٣])الحديد: ١٤.

[٤])ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . ص ٢٠٤.

[٥])تفسير القرطبي . ج٥ ص ٣٨٩.

[٦])ينظر تفسير المنار ج٥ ص ٤٣٠، والمستفاد من قصص القرآن . د. عبد الكريم زيدان . ج١ ص٦٨.

[٧])ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . ص ٢٠٤.

[٨])ينظر تفسير الرازي ج١١ ص٤٠، وتفسير القرطبي ج٥ ص ٣٨٩، وتفسير القاسمي ج٥ ص ٤٨٤، وتفسير ابن كثير ج١ ص ٥٥٧، وينظر المستفاد من قصص القرآن . ج١ ص ٦٨ . ٦٩.

[٩])ينظر معارج التفكر ودقائق التدبر . الميداني . م٤ ص ١٤١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الشيطان وأمانيه انها وعود كاذبة وأماني لا حقيقة لها. وهذه صورة أخرى من وعوده الكاذبة قال تعالى { الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً }[1]إنها صورة أخرى من وعود الشيطان الكاذبة انه الوعد لأتباعه، انهم إذا أنفقوا في سبيل الله فسيحل بهم الفقر، وهذا الوعد قد سبق بالنهي عن انفاق الخبيث قال تعالى {وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ }[2]، ففيه إيحاء إلى ان الحامل لهم على ذلك إنما هو الشح، والبخل بالجيد الذي يثيره الشيطان، بدأ بعد ذلك بجملة (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ) وان ما تصدقتم من الخبيث إنما ذلك من نزعات الشيطان، ليقبح لهم ما ارتكبوه من ذلك بنسبته الى الشيطان، فيكون أبعد شيء منه[3]. فأسم الشيطان قد وقع مسندا إليه، لأن تقديمه مؤذن بذم الحكم الذي سبق له الكلام، وشؤمه، ولتحذير المسلمين من هذا الحكم، فأفاد هذا التقديم تقوية الحكم وتحقيقه[4]، ودل على ان الباعث الحقيقي على بخل النفس، وإمساكها عن الانفاق والخوف من الفقر، هو الشيطان، فهو الآمر بكل فحشاء، وقد كنى بها هنا عن البخل فأوحت بلفظها قيمة خلقية سلبية، لا تليق بحياة المؤمنين[5]، أما (عدكم الفقر ) فعلى معنى يسول لكم الشيطان، وقوعه في المستقبل، إذا أنفقتم خيار أموالكم، وذلك بما يلقيه في قلوب، الذين تخلقوا بالأخلاق الشيطانية، وسمي الأخبار بحصول أمر في المستقبل، وعدا مجازا مع انه اعتبر فيه، الإخبار بما سيكون من جهة المخبر[6]، (( والشيطان لم يضف مجيء الفقر الى جهته للإيذان بمبالغته في الاخبار يتحقق مجيئه كأنه نزله في تقرر الوقوع، منزلة أفعاله الواقعة حسب ارادته، أو لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريق المشاكلة ) [7]، وقد قدم وعد الشيطان على أمره، لأنه بالوعد يحصل الاطمئنان إليه، فإذا اطمأن إليه وخاف الفقر تسلط عليه بالأمر[8]. فالنص بهذه الاسرار التعبيرية يبين ان الشيطان، يخوف أولياءه بالفقر إذا أنفقوا في مرضاة الله، ويأمرهم بالمعاصي والانفاق فيها، وما ذلك الاّ من الاماني الخادعة والوعود الكاذبة.

وإليك هذه الصورة الشاخصة لوعود الشيطان، الكاذبة جاءت على لسانه هو، قال تعالى حاكيا

---

[1])البقرة: ٢٦٨.

[2])البقرة:٢٦٧.

[3])ينظر البحر المحيط ج١ ص ٣٣١.

[4])ينظر دلائل الاعجاز . الجرجاني . ص ١٥٩.

[5])ينظر الكناية في القرآن الكريم . أطروحة دكتوراه قدمها أحمد فتحي رمضان إلى كلية الآداب . جامعة الموصل . اشراف: الدكتورة مناهل فخر الدين فليح ت ١٩٩٥م ص ١٧٥.

[6])ينظر التحرير والتنوير . ابن عاشور . ج٣ ص٥٩، وينظر دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة . الدكتورة زهراء خالد سعد العبيدي . ص٦٨.

[7])تفسير أبي السعود . ج١ ص ٢٦٢.

[8])ينظر تفسير الآلوسي . ج٣ ص ٤٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عنه {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[1] في هذا النص تبيين لحقيقة وعود الشيطان، فهو بعد أن ينقض الأمر يوم القيامة يتخلى عن اتباعه، ويفرق الجميع بين وعود الله الحقة التي حققها سبحانه لعباده الصالحين وصدقهم إياها، وبين وعود ابليس الخادعة التي كذب على جنوده بها، ففي هذه الآية تصوير لحال الشيطان، وكيف انه يقف خطيبا في نار جهنم يلقي على من اتبعه خطبته العصماء، التي يعلن فيها صدق وعد الله وكذب وعده، وكيف انه غرهم وخدعهم ثم يؤنبهم ويوبخهم بقوله{ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم}، أي ليس لي حجة على تأييد قولي سوى اني دعوتكم الى مرادي، وزينته لكم فاستجبتم لي اتباعا لأهوائكم وشهواتكم، فإذا كانت الحال بهذه الصورة فأنتم السبب وعليكم المدار في موجب العقاب، ثم يذكر لهم انه عاجز عن انقاذهم كما انهم عاجزون عن انقاذه { مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ}ويتخلى عنهم ويعلن براءته منهم (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ)، أي تبرأت من جعلكم لي شريكا مع الله، فلست شريكا لله ولا تجب طاعتي، وهذا من لطف الله بعباده ان حذرهم من طاعة الشيطان وأخبر بمداخله التي يدخل منها على الانسان، ومقاصده فيه وانه يقصد ان يدخله النيران، وهنا بين لنا انه إذا دخل النار وحزبه يتبرأ منهم، هذه البراءة ويكفر بشركهم[2] فالله قد صدق وعده لعباده، وأنجزه لهم وبذلك يكون وعده حقا متحققا على أرض الواقع، اما ابليس فقد وعدهم فأخلفهم ولم ينجز لهم ما وعدهم به وبذلك خدعهم وغرهم وكان وعده باطلا[3]. وهنا في الآية مسألة هو ان الله قد ذكر في هذه الآية انه ليس له سلطان، وقال في آية أخرى {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ}[4]، فالسلطان الذي نفاه الله عنه هو سلطان الحجة والدليل ( فليس له حجة اصلا على ما يدعوا إليه، وإنما نهاية ذلك ان يقيم لهم من الشبه، والتزينات ما به يتجرؤون على المعاصي واما السلطان الذي اثبته فهو التسلط بالاغراء على المعاصي، لأوليائه يؤزهم الى المعاصي أزا، وهم الذين سلطوه على أنفسهم بموالاته والالتحاق بحزبه، ولهذا ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون )[5]. هكذا رأينا كيف كانت وعود الشيطان قائمة على الباطل، والغرور، والخداع، والكذب، والافتراء، فقد وعد أولياءه بالكثير من الوعود. لكنها وعود زائفة

---

[1] )ابراهيم:٢٢.

[2] )ينظر تيسير الكريم الرحمن. ص ٤٢٥.

[3] )ينظر وعود القرآن بالتمكين للإسلام. د. صلاح عبد الفتاح الخالدي. دار القلم. دمشق. ط١. ١٤٢٥ هـ. ٢٠٠٤م ص ٢٧.

[4] )النحل: ١٠٠.

[5] )تيسير الكريم الرحمن. ص ٤٢٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ـ لاتتحقق ولا توجد في الواقع لأن الشيطان كاذب في الوعد بها، هدفه منها هو الاستحواذ على بني آدم واسقاطهم واضلالهم ولذلك يعدهم ويمنيهم.

٤. إيقاعهم في الكفر والردة: . إن غاية الشيطان من خطته التي اختطها، وأقسم على تنفيذها غايته منها إيقاع بني آدم في الكفر، والارتداد عن الدين، ذلك ان من أعظم صفاته التي وصفه الله بها الكفر قال تعالى {وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً}[١]، ومعنى كونه كفورا انه يستعمل بدنه في المعاصي والافساد في الارض والإضلال للناس[٢]. ومن كانت هذه صفته انه ولا شك سوف يدعو الناس، الى كفره، واتباعه سوف يؤدي حتما الى الكفر، وما سبق عرضه من صور خطته في صراعه مع بني آدم تصب كلها في هذه الغاية الكبرى للشيطان، . والنصوص القرآنية التي تحدثت عن هذه الغاية الكبرى للشيطان قد صرحت، بأمر الشيطان للإنسان بالكفر حينا، وبالارتداد حينا آخر وبالموالاة التي تعني الكفر بسبب اتباعه، فلننظر الى هذه الصور القرآنية لنتعرف على أبعاد الخطة الشيطانية، وكيفية تنفيذها. قال تعالى {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}[٣]، النص يشبه حال المنافقين وحلفائهم من يهود بني النضير بحال الشيطان إذ قال للإنسان: أكفر فلما كفر قال: إني بريء منك، وذلك ان المنافقين قالوا لهم كما جاء في سورة الحشر{ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ... } [٤]ولكن الله قال في شأن المنافقين كما جاء عقبه في السورة نفسها{وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ۝ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ}[٥]، وكذلك كان من أمرهم حين حاصرهم الرسول و أجلاهم عن المدينة، لم ينصرهم اخوانهم المنافقون فكان حال المنافقين وإخوانهم من يهود، كحال الشيطان إذ قال للإنسان أكفر، وكان الوصف هنا شبيه الوصف هناك[٦].فالشيطان يدعو أولياءه وحزبه من الناس، والانسان ينخدع بالشيطان فهما متلازمان غواية واستجابة، حتى إذا تم التأثير وتنمر المرء بطغيانه، وكفره نقض منه كفيه ( وأسلمه الى الهلاك وأظهر قطع العلاقة، وتهاون الصلة بدعوى الخوف من الله رب العالمين، وهكذا أولياء الشيطان من كل الفصائل والاجناس في اغراءاتهم المشتركة، فإذا حمي الوطيس تبرأ

---

[١])الاسراء: ٢٧.

[٢])ينظر التفسير الكبير . الرازي . ج٢٠ ص ١٥٥.

[٣])الحشر:١٦

[٤]) الحشر ١١.

[٥])الحشر: ١٢.١١.

[٦])ينظر تفسير ابن كثير . ج٤ ص ٣٤١، وينظر أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . ص ٣٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القرين من قرينه والأخ من أخيه وعادوا سواسية في ملحظ الهلاك ومنظار الاستسلام )[1] ان تبرؤ الشيطان ياتي في أحلك الظروف؛ إذ يأتي والمرء بحاجة الى المعين والناصر فيتبرأ منه والحالة هذه ( ففي الآية إيجاز حذف حذف فيها معطوفات مقدرة بعد شرط (لما )، هي داخلة في الشرط إذ التقدير: فلما كفر واستمر على الكفر، وجاء يوم الحشر واعتذر بأن الشيطان أضله قال الشيطان: إني بريء منك.. الخ )[2]، وفي النهاية يعاقب كلا الطرفين الممثل بهما بالخسران في الآخرة، وذلك بخلودهما في النار وهي عاقبة كل ظالم، ومفسد، وباحث عن المكيدة للمسلمين، وبعد هذا البيان والأعذار والانذار فلا شك ( ان المقدم على طاعته عاص على بصيرة لا عذر له )[3]، وهو يستحق هذه العقوبة العظيمة، وقد جاءت هذه العقوبة موضحة بشكل أكبر عند قوله تعالى {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً}[4]، ففي الآية اقسام من الله تعالى بنفسه بانه، سوف يبعث هؤلاء المشركين من قبورهم، ويحشرهم مع الشياطين الذين أضلوهم في جهنم[5]، فالمعنى ( انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرنون كل كافر مع شيطان )[6]، وعطف ( الشياطين على ضمير المشركين بقصد تحقيرهم، بانهم يحشرون مع أحقر جنس، وأفسده، وللإشارة الى ان الشياطين هم سبب ضلالهم الموجب لهم على هذه الحالة، فحشرهم مع الشياطين انذار لهم بان مصيرهم هو مصير الشياطين، وهو محقق عند الناس كلهم )[7]، ولا يخفى ذلك التهديد الرهيب في الآية باحضارهم حول جهنم جاثين على ركبهم، وهم في كل ذلك يتنقلون بين انواع العذاب، هم وقرناؤهم، كما لاتخفى الآية تلك العلاقة، القائمة بين المشركين والشياطين والتي تعني علاقة بين التابع والمتبوع والقائد والمقود، نتيجة لأمر الشيطان لهم بالكفر واتباعهم إياه[8].

وهذه صورة أخرى للكفر متمثلة بالارتداد، يصور لنا فيها القران حال فئة من الناس ساروا في طريق الحق والهدى، ثم رجعوا عنه بعدما تبين لهم صورة وهي تتمثل بحركة حسية، تعني الرجوع الى الأدبار، وسبب ذلك كله هو تزيين الشيطان واغراؤه قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ}[9]، فالاية تحكي صفة بعض اهل الكتاب والمنافقين الذين تبين

---

[1])الصورة الفنية في المثل القرآني . محمد حسين علي الصغير . ص ٢٩٣.

[2])التحرير والتنوير .ابن عاشور . ج٢٨ص ١٠٩.

[3])تيسير الكريم الرحمن . ص ٨٥٣.

[4])مريم:٦٨.

[5])ينظر الاتباع أنواعه وآثاره في بيان القرآن . ج٢ . الاتباع المذموم . ص ٥١٥.

[6])تفسير القرطبي ج١١ ص٨٨.

[7])التحرير والتنوير . ابن عاشور . ج١٦ ص ١٤٧.

[8]) ينظر الاتباع أنواعه وآثاره في بيان القرآن . ج٢ ص ٥١٦.

[9])محمد: ٢٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لهم الحق، ثم منعهم متابعتهم للشيطان، وتسويله، وتزينه، واملاءه، لهم من اتباع هذا الحق فارتدوا على ادبارهم، ورجعوا القهقري[1]. فالارتداد على ادبارهم هنا ( تمثيل للراجع الى الكفر بعد الايمان بحال من سار ليصل الى مكان، ثم ارتد في طريقه ولما كان الارتداد سيرا الى الجهة التي كانت وراء السائر، جعل الارتداد الى الادبار، أي الى جهة الادبار )[2]. وإنما كان هذا الارتداد والانتكاس. كما ذكرنا آنفا . سببه تسويل الشيطان وتزينه فهو يزين للناس طريق الباطل، ويوهمهم ان في هذا الطريق ارضاء لشهواتهم، وإشباعا لغرائزهم، فيسيرون فيه، وكم يرى المرء من هؤلاء الذين تنكبوا الطريق وحادوا عنه بعدما عرفوه، لا لشيء الاّ بسبب تسويل الشيطان. وهذه صورة أخرى تمثل حالة الارتداد بعد معرفة الحق قال تعالى {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[3]، انه مثال للعلماء الذين أتبعوا أهواءهم، فلعبت بهم الشياطين وجعلتهم يتنكبون الطريق ويحيدون عن الصراط القويم.وإذا كانت كتب التفسير قد خاضت في معرفة هذا الرجل الذي نزلت فيه هذه الآية، وذهبت فيه كل مذهب، فمن قائل انه بلعام بن باعوراء، ومن قائل أنه أمية بن الصلت، ومن قائل انه ابو عامر الفاسق.. وثمة آراء أخرى لا تخلوا من الاسرائليات[4]، لذلك فانني لن أتوسع في تفاصيل معرفة ذلك الرجل، لأن المهم هو صفته لا شخصه، تلك الصفة التي تبين لنا باختصار: صفة رجل أتاه الله آياته، ثم لم يستقم عليها بل انحرف عنها اتباعا لهواه وشهواته، وشيطانه، وهذا ما أراد النص الوصول إليه، ولكم يشاهد المرء في كل عصر ومصر عند العصور الغابرة، وحتى عصرنا هذا من يعرف الحق ثم يحيد عنه، أو يتخلى عنه اتباعا لهواه، سواء كان ذلك على مستوى الذي منّ الله عليهم بالهداية، ثم انحرفوا عن الجادة بسبب من الهوى والشيطان، أو على مستوى العلماء ، والحكام الذين يعلمون الحق ثم يتركونه: فكم ( من عالم دين رأيناه يعلم حقيقة دين الله، ثم يزيغ عنها ويعلن غيرها، ويستخدم علمه في التحريفات المقصودة والفتاوى المطلوبة، لسلطان الأرض الزائل يحاول أن يثبت بها هذا السلطان، المعتدي على سلطان الله، وحرماته في الأرض جميعا )[5]، ثم لننظر كيف صور القرآن الكريم حالة الارتداد عند هذا المسكين الذي اتبع الشيطان، فيما وسوس له فيه من اتباع هواه، انه

---

[1])ينظر التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق . د. صلاح عبد الفتاح الخالدي . دار النفائس . الاردن . ط٢ . ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١ م ص ٢٧٢، وينظر الاتباع . ج٢ ص ٥١٧.

[2])التحرير والتنوير . ابن عاشور ج٢٦ ص١١٥.

[3])الأعراف: ١٧٥ . ١٧٦.

[4])ينظر جامع البيان . الطبري . ج٩ ص ١٢٣، والتفسير الكبير . الرازي . ج١٥ ص٤٦، والجامع لأحكام القرآن . القرطبي . ج٧ ص ٣١٩.

[5])في ظلال القرآن . سيد قطب . م٣ ص ١٣٩٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شبهه بعملية الانسلاخ والانسلاخ، ( حقيقتة خروج جسد الحيوان من جلده حينما يسلخ عنه جلده، والسلخ ازالة جلد الحيوان الميت عن جسده، واستعير في الآية للإنفصال المعنوي، وهو ترك التلبس بالشيء أو عدم العمل به ) [1]، وهذا الانسلاخ مستعمل عند العرب في خروج الثعابين من جلودها وفيه دلالة واضحة على ان الجلد ( كان متمكنا منها ظاهرا لا باطنا ) [2]، وبذلك نفهم ان هذا الرجل أتاه الله الآيات والهدى والعلم، وأنعم عليه بذلك ولكن هذا العلم لم يلامس شغاف قلبه، ولم يصل الى مرحلة العمل بل بقي علما في الظاهر لا أثر له على القلب البته، ولذلك انسلخ من هذه الآيات وتركها كانسلاخ الحيات من جلدها، وسبب هذا الانسلاخ اتباعه لهواه وتزين الشيطان له[3]، وعليه فإن هذا الرجل قد ( فارق الايمان مفارقة من لا يعود اليه أبدا، فانه انسلخ من الآيات بالجملة كما تنسلخ الحية من قشرها، ولو بقي شيء لم ينسلخ منها ) [4]، ولذلك فانه قد ضل عن علم واختار الكفر عن عمد، ثم ترتب على انسلاخه من الآيات ان أدركه الشيطان ولحقه حتى صيّره تابعا له، وهذا يدل على ظفره به واقتناصه له، وما ذاك الاّ لأن هذا الرجل (خرج من الحصن الحصين وسار الى أسفل سافلين فأزّه إلى المعاصي أزّا ) [5]، لأنه فقد حصنه الذي كان يتحصن به وهو إيمانه والعلم الذي أتاه الله إياه، فأصبح عرضة لوساوس الشيطان كذلك مثل الانسان الذي يفقد جلده الخارجي انه لا شك سيكون عرضة للإصابة، بالكثير من الجراثيم والأمراض ( فالإنسلاخ من الآيات أثر من وسوسة الشيطان، وإذا أطاع المرء الوسوسة تمكن الشيطان من مقاده فسخره وادام إضلاله ) [6]، ثم ترتب على ذلك مرة أخرى أن كان هذا الرجل من الغاوين، وتأمل التعبير بالفاء لإفادة الترتيب مع التعقيب، فان هذا الرجل انسلخ من الآيات فكان ذلك سببا في تمكن الشيطان منه، وكان هذا سببا في غوايته، وكأنها أمور حدثت بشكل سريع ومتتابع[7].

والحاصل ان هذا الرجل ( غوى بعد الرشد والغي الضلال في العلم والقصد، وهو أخص بفساد القصد والعمل، كما ان الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ) [8]. ثم يقول تعالى (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ) قال الطبري ـ رحمه الله ـ بعد ان ساق الأقوال الواردة في معنى (لَرَفَعْنَاهُ بِهَا

---

[1])التحرير والتنوير ـ ابن عاشور ج٥ ص ١٧٦.

[2])تفسير المنار ـ ج٩ ص ٤٠٦.

[3]) ينظر الاتباع أنواعه وآثاره في بيان القرآن ـ ج٢ الاتباع المذموم ـ محمد بن مصطفى السيد ـ ص ٤٤٨.

[4])بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية ـ ج٢ ص ٣١٢.

[5])تيسير الكريم الرحمن ـ ابن السعدي ـ ص ٣٠٩.

[6])التحرير والتنوير ـ ابن عاشور ـ ج٥ ص ١٧٧.

[7])ينظر تيسير الكريم الرحمن ـ ص ٣٠٩ والاتباع في القرآن ـ ج٢ الاتباع المذموم ص ٤٤٩.

[8])بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية ـ ج٢ ص ٣١٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

)قال ( وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عم الخبر بقوله (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ) ان لو شاء رفعه بآياته التي أتاه إياها، والرفع يعم معاني كثيرة منها الرفع في المنزلة عنده، ومنها الرفع في شرف الدنيا ومكارمها، ومنها الرفع في الذكر الجميل والثناء الرفيع، وجائز أن يكون الله عنى كل ذلك، أنه لو شاء لرفعه فأعطاه كل ذلك بتوفيقه للعمل بآياته التي كان أتاها إياه...) [1]، فهذه العبارة من النص تعطي تصورا أن الله سبحانه وتعالى، ( لم يشأ رفعه بآياته لأنه لم يستحق هذا الرفع، وهو ممكن باختياره الحر أن يرتفع، وليس من حكمة الله أن يرفع المتسفلين بإرادتهم الحرة، وهم موضوعون في الحياة الدنيا موضوع الابتلاء والامتحان ) [2].

( ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه )، لقد عبر عن حرصه على الدنيا وميله اليها بالاخلاد إلى الأرض ( لأن ما فيها من العقار، والضياع، وسائر أمتعتها من المعادن، والنبات، والحيوان، مستخرج من الأرض إنما يقوى، ويكمل بها فالدنيا كلها هي الأرض فصح أن يعبر عن الدنيا بالأرض ) [3].

إذن فهذا الرجل مال إلى الدنيا بكليته، ولزمها، ونتج عن ذلك أنه اتبع هواه فصار تابعا له يقتدي به ويحذو حذوه، وهذا يعني حرصه على مسافل الأمور والابتعاد عن معاليها، نتيجة لحقارة همته وخسة نفسه[4]، ونتيجة لذلك فقد شبهّه بالكلب فقال {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث } (( وهذا التمثيل من مبتكرات القرآن )) [5]، ووجه الشبه بين هذا الرجل وبين الكلب ما ذكره الرازي رحمه الله فقال (إن كل شيء يلهث فإنما يلهث من اعياء، أو عطش، الاّ الكلب اللاهث فانه يلهث في حال الإعياء وفي حال الراحة، وفي حال العطش، وفي حال الري فكان ذلك عادة منه وطبيعة، وهو مواظب عليه كعادته الأصلية، وطبيعته الخسية لا لأجل حاجة وضرورة، فكذلك من أتاه الله العلم والدين وأغناه عن التعرض لأوساخ أموال الناس، ثم انه يميل الى طلب الدنيا، ويلقي نفسه فيها كانت حاله كحال ذلك اللاهث، حيث واظب على العمل الخسيس والفعل القبيح لمجرد نفسه الخبيثة، وطبيعته الخسيسة لا لأجل الحاجة والضرورة ) [6].فهو يكد ويتعب ولا يصل الى مبتغاه، ذلك ان مطالب نفسه تتجدد دوما (فكلما حقق مطلبا، أو خاب في سعيه، تجدد في نفسه مطلب يطمع في تحقيقه، فيسعى مجتهدا كادا لاهثا في جريه، طامعا في الحصول عليه، مشوقا للظفر به، فهو بسبب أهوائه، وشهواته، وشره نفسه لمتاع الحياة

---

[1])جامع البيان . ج٩ ص ١٢٧.

[2])معارج التفكر ودقائق التدبر . الميداني . م٥ ص ٣٧.

[3])التفسير الكبير . الرازي ج١٥ ص ٤٦.

[4])ينظر بدائع التفسير ج٢ ص ٣١١. ٣١٣ والاتباع انواعه وآثاره في بيان القرآن ج٢ ص٤٥٠.

[5])التحرير والتنوير . ج٥ ص١٧٧.

[6]) مفاتيح الغيب . ج٥ ص ٤٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدنيا، لا يتوقف عند الكد والكدح الذي يجعله لاهثا دواما )[1]. والحاصل من هاتين الآيتين (( الترغيب في العمل بالعلم وان ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، والترهيب من عدم العمل به، وانه نزل الى أسفل سافلين وتسليط للشيطان عليه، وفيه ان اتباع الهوى، وإخلاد العبد الى الشهوات يكون سببا للخذلان )[2].

وضمن هذا الاطار ولاية الشيطان للكافرين، والمنافقين، والعصاة، يتولاهم بالإضلال، والإفساد، والإصطدام مع اوامر الله، وسنته في الحياة، وإلى هذا المعنى كانت الإشارة بأمثال قوله تعالى {فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[3]، وقوله تعالى {إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ}[4] وقوله تعالى {فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}[5].فهؤلاء حلت فيهم سنة الضلال، وحقت عليهم الضلالة من الهدى والرشاد، باتخاذ الشيطان وليا من دون الله، فالفريق الذي حق عليه الضلالة إنما ضلوا عن سبيل الله، وجاروا عن قصد المحجة باتخاذهم الشياطين نصراء من دون الله، وظهراء، وظهرا جهلا منهم بخطأ ما هم عليه، من ذلك بل فعلوا ذلك، وهم يظنون انهم على الهدى وان الصواب ما أتوا وركبوا[6]، فهم قد رفضوا ولاية الله لهم، فلم يتبعوا ما انزل الله لهدايتهم، بل زينت لهم الشياطين اتباع الأهواء، والشهوات، والمحرمات من زينة الحياة الدنيا فاتخذوا الشياطين أولياء لهم من دون الله باءارادتهم الحرة ( فغرّتهم الشياطين بوساوسهم، وتسويلاتهم، واطماعاتهم لهم بالباطل، من زخرف الافكار والاقوال، فصاروا يتابعون في مسيراتهم خطوات الشياطين، آنا فآنا على غير بصيرة، حتى أوصلتهم الى حضيض الضلالة، وأدركتهم منياهم وهم في هذا الحضيض )[7] إذن تولية الشيطان تعني طاعته واتباعه في كل ما يؤمر، وهذا يعني بوضوح الارتداد، لأن من تولى أحدا كان له تبعا في كل أمر فالنصوص رسمت الأطار لهذه الولاية بالباطل، وقد قضى الله عزوجل فيمن تولى الشيطان أن يضله عن الصراط المستقيم، ويهديه الى عذاب الجحيم[8]، قال تعالى { وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ۞ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ}[9]. تلك كانت صورة

---

[1])معارج التفكر ودقائق التدبر . الميداني . م٥ ص ٣٢.

[2])تيسير الكريم الرحمن . ص ٣٠٩.

[3])النحل:٦٣.

[4])الاعراف:٢٧.

[5])الاعراف:٣٠.

[6])ينظر تفسير الطبري . ج٥ ص ١٥٩، وتفسير البيضاوي ج٢ ص ١٨٩، وتفسير الخازن ج٢ ص ٢٢٣.

[7])معارج التفكر ودقائق التدبر . الميداني . م٤ ص ١٧٧.

[8])ينظر تفسير الطبري ج١٧ ص ١١٦.

[9])الحج: ٤.٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أخرى من صور صراع الشيطان مع الانسان، وتلك كانت أيضا فقرة أخرى من فقرات خطته التي أراد من خلالها إيصال الانسان الى مرحلة الكفر والردة.

**٥. ايقاع العداء بين المسلمين:.**

هذه صورة أخرى من صور الصراع الشيطاني مع الانسان، انه ايقاع العداء بين المسلمين، وتفريق كلمتهم ذلك أنه لما أفصح عن خطته في إضلال بني آدم جعل من ضمن بنودها بث البغضاء، والتشاحن بينهم قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ}[1]، ففي الآية بيان صريح وواضح ان الخمر والميسر (رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ )، ولذلك أمرنا باجتنابهما، وجاء ايضاح هذا المعنى على شكل صورة تمثيلية، والتي تعني إيجاد علاقة بين شيئين أحدهما تجسيد أو تعريف للآخر فلو لاحظنا قوله تعالى ( الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ) لوجدنا ان الرجس هو تجسيد، أو تعريف أو تمثيل لما هو خمر وميسر وانصاب وأزلام، والرجس معناه ( القذارة )، والقذارة .كما نعرف . شيء مادي، ولذلك عندما ينقل النص هذه الدلالة المادية الى دلالة معنوية حينئذ نكون أمام صورة ( تخيلية أي: أمام صورة فنية تخلع ما ينتسب الى شيء مادي، على ما ينتسب الى شيء معنوي، حيث خلعت الصورة المشار إليها صفة القذر أو ( الرجس ) المادي على ممارسات مثل الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام )[2]. ثم جاءت الآية الثانية معللة هذا الأمر، بانه ليس للشيطان هم ولا عمل الاّ ايقاع العداوة والبغضاء بسبب الخمر والميسر، وكذلك الصد عن ذكر الله والصلاة. إذن الشيطان يريد من وراء شرب الخمر ولعب والميسر أن يعادي الناس بعضهم البعض الآخر، ويبغض بعضهم البعض الآخر، فقد أبرز النص الاضرار الدنيوية للخمر والميسر، والمتمثلة في بروز العداوة والبغضاء بين الخمارين والمقامرين، ان شارب الخمر يفقد توازنه العقلي فيعتدي على الآخرين، وان المقامر ليأسى على ماله فيختزن العداء في أعماقه، فيؤدي هذا العداء الى تشتت الأمر وذهاب أخوة الاسلام[3]. ترى هل يمكن لنا أن نتخيل ( رجسا ) أو ( قذرا ) أكثر من العداوة، والبغضاء اللتين تمزقان كل ما هو منتسب الى التوازن والطمأنينة والأمن؟! والنجوى وسيلة أخرى من وسائل الشيطان في ايقاع الحزن في قلوب المسلمين، وزرع العداء قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ

---

[1] )المائدة: ٩٠ .٩١.

[2] ) دراسات فنية في صور القرآن . د. محمود البستاني . ص ١٣٧.

[3] )ينظر تفسير الطبري ج٧ ص ٣٢، ودراسات فنية في صور القرآن . د. محمود البستاني ص ١٤٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}[1]، وأصل النجاء .كما يقول الراغب . رحمه الله . ( الانفعال من الشيء ومنه نجا فلان من فلان، وأنجيته ونجيته... وناجيته أي ساررته، وأصله أن تخلوا به في نجوة من الأرض، وقيل: أصله من النجاة وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه، أو أن تنجو بسرك من أن يطلع عليك... قال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى }[2]، { إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً }[3]، وانتجيت فلانا: استخلصته لسري )[4] وفي الآية استخدام لأسلوب القصد الذي يعني ان النجوى ليست الاّ من الشيطان، فهو المختص بها وهي المختصة به، يوسوس الى قلوب العباد بوساوسه الخبيثة ليحزن الذين آمنوا، وذلك لما يقع في نفوسهم من خوف الشر من المشركين، والمنافقين، وكذلك لما يستشعره المقابل من ان ( الحديث عنه بما يكره، أو انه لم يروه أهلا ليشركوه في حديثهم )[5]، وقد جاءت نصوص كثيرة في السنة تحذر من النجوى من ذلك ما أخرجه البخاري عن ابن عمر ﷺ ان رسول الله ﷺ قال: ( إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث)[6].

كما أخرج البخاري أيضا عن ابن مسعود ( رضي الله عنه )قال: قال النبي ﷺ ( إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن ذلك يحزنه )[7]، ومن أجل هذا المعنى . أي الحزن . ( يستوي في ذلك كل الاعداد، فلا يتناجى أربعة دون واحد، ولا عشرة، ولا ألف مثلا لوجود ذلك المعنى في حقه، بل وجوده في العدد الكثير أمكن وأوقع، فيكون بالمنع أولى، وإنما خص الثلاثة بالذكر لأنه أول عدد يتأتى ذلك المعنى فيه وظاهر الحديث يعم جميع الأزمان والأحوال، وإليه ذهب ابن عمر ومالك، والجمهور، وسواء أكان التناجي في مندوب، أو مباح، أو واجب فان الحزن يقع به )[8].إذن فالغرض من ذلك النهي .كما تقدم . هو عدم ايقاع الحزن والضغينة في قلوب المسلمين واحزانهم مع الاشارة الى ان ذلك من الشيطان، ولذلك يجب تفويت الفرصة عليه حتى لا يوقع ذلك[9]، والمهم ان هذه النجوى لا تضر المؤمنين الاّ بإذن الله تعالى، والحمد لله فان المكر السيء لا يحيق الاّ باهله ( فأعداء الله،

---

[1])المجادلة: ٩. ١٠.

[2])المجادلة:٩.

[3])المجادلة:١٢.

[4])المفردات في غريب القرآن . ص ٤٨٣ . ٤٨٤.

[5])الجامع لأحكام القرآن . القرطبي . ج١ ص ٢٩٥.

[6])أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان باب ( لا يتناجى اثنان دون الثالث ) ج٥ ص ٢٣١٨.

[7]) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان باب ( اذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة ) ج٥ ص ٢٣١٩.

[8])الجامع لأحكام القرآن . القرطبي ج١٧ ص ٢٩٥.

[9])ينظر الاتباع انواعه وآثاره في بيان القرآن ج٢ ص ٥٤٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ورسوله، والمؤمنين مهما تناحوا، ومكروا فان ضرر ذلك عائد على نفوسهم، ولايضر المؤمنين الاّ شيء قدره الله وقضاه )[1]، وحتى نفوت الفرصة على الشيطان فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بأمر ممهد، لعدم ايقاع العداوة والبغضاء، إذا التزمه الناس فقال تعالى {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً}[2]في هذا النص توجيه رباني الى أدب المخاطبة والمحاورة بين المسلمين، بعضهم مع البعض الآخر، ذلك لأن الشيطان يسوء محاورة بعضهم، لينزغ بينهم والنزغ أصله الطعن السريع واستعمل هنا في الافساد السريع، وفي استعمال فعل النزغ، تصوير لسرعة عمل الشيطان في ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس، عن طريق الكلام والخطاب وما ذلك الاّ لأن عداوة الشيطان مستقرة في خلقته، قد جبل عليها، وعداوته متقررة من وقت نشأة آدم عليه السلام، أو ان من أعظم كيد الشيطان أن يوقع المؤمن في الشر وهو يوهمه أنه يعمل الخير[3]. والملاحظ على النص هو التعبير بقوله (الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ )، وهذا يعني أفضل الكلام و ( حسنه بل انه إذا دار الكلام بين أمر حسن، وأمر أحسن فانه يؤثر أحسنهما في حالة عدم الجمع بينهما، (وهذا أمر بكل كلام يقرب الى الله من قراءة وذكر، وعلم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وكلام حسن لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم، ومنازلهم، وانه إذا دار الأمر بين أمرين حسنين فانه يؤمر باءيثار أحسنهما، ان لم يمكن الجمع بينهما، والقول الحسن داع لكل خلق جميل، وعمل صالح فان من ملك لسانه ملك جميع أمره )[4]، وهذا الكلام كله هو في المسلمين مع بعضهم لتبقى تلك الرابطة الأخوية، فيما بينهم لا تخدشها كلمة من هنا أو تصرف من هناك، وينسحب هذا الكلام على دعوة غير المسلمين، وحتى على المخالفين أيضا، أيّا كانوا وذلك بان يحاول المرء ان يعرض حجته ودليله بأسلوب حسن، بعيدا عن البذاءة والتجريح لأنه إذا كان الأمر كذلك أثر في القلب تأثيرا شديدا، أما حين يعرض المرء حجته مختلطا بها شيء من السب، أو الشتم، فلا شك أنه سوف ( يزداد الغضب وتتكامل النفرة، ويمتنع حصول المقصود )[5] وعلى كل حال فإن المقصود من هذا كله، هو تفويت الفرصة على الشيطان لكيلا يجد مدخلا يدخل منه للنزغ بين العباد، الم يقل الله سبحانه وتعالى على لسان يوسف عليه السلام { مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي}[6]، ان الشيطان ( ينزغ بين الأخوة بالكلمة الخشنة تفلت، وبالرد السيء يتلوها، فإذا جو الود، والمحبة، والوفاق، مشوب بالخلاف، ثم بالجفوة، ثم بالعداء،

---

[1])تيسير الكريم الرحمن. ص ٨٤٦.

[2])الاسراء: ٥٣.

[3])ينظر جامع البيان. الطبري. ج١٥ ص ١٠٢، والتحرير والتنوير. ابن عاشور ج٢ ص ٢٣٣.

[4])تيسير الكريم الرحمن. ص ٤٦٠.

[5]) مفاتيح الغيب. الرازي. ج٢٠ ص ١٨٣.

[6])يوسف: ١٠٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب، وتندي جفافها، وتجمعها على الود الكريم )[1]. ونظرة سريعة الى واقعنا اليوم نجد ان الشيطان قد نجح في ايقاع العداوة بين الناس، وأوغر صدور بعضهم على بعض، فنجد البغضاء والعداوات بين بعضهم البعض، والمؤسف ان بعض هؤلاء يسوغ عمله بحجج واقعية، وأدلة شرعية على حد زعمه، متخذا منها ستارا للنفث في قلوب أغمار الناس وعقولهم، وعندها تحدث العداوات والبغضاء. ويا ليتنا ننتبه الى هذا الارشاد القرآني، ونقف عنده ونحذر من عداوة الشيطان، وما يبثه بيننا، ويظل النزغ أهم فقرة في خطة الشيطان يستخدمها لتفريق شمل الناس.

تلك كانت أهم الفقرات في خطة الشيطان التي حاول تحقيقها على أرض الواقع، وهناك فقرات أخرى ذكرها القرآن، والناظر اليها يجد انها تصب فيما ذكرنا، ويظل علينا أن نتذكر دوما ان عدونا الحقيقي هو الشيطان، وهذا العدو هو الذي تجب محاربته بكل ما أوتينا من الوسائل، كما يجب أن نعلم ان هذا الشيطان قد يتمثل بصور شتى، وبمداخل على المرء كثيرة، فيجب عليه أن يأخذ حذره وان الحزم كل الحزم هو في صد هذا العدو، وقمع النفس الامارة بالسوء التي يدخل الشيطان من قبلها، فبذلك تكون طاعة الله . تعالى . واستقامة الأمر والهداية للرشد[2].

---

[1])في ظلال القرآن . سيد قطب . م٤ ص ٢٢٣٤.

[2])ينظر تيسير الكريم الرحمن ص ٤٦٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

# الفصل الثالث

## التحصن من كيد الشيطان ( سبل الخلاص من هذا الصراع )

بعد ان بين الله تعالى لنا في كتابه العزيز حقيقة الصراع الدائربين الشيطان والانسان، وكشف لنا أبعاد خطة الشيطان والمداخل في تنفيذ خطته هذه، فإنه لم يترك الانسان وحده يواجه قدره مجردا من الوسائل والاسلحة لصد هذا الصراع والعدوان، وانما جعل له منهجا متكاملا للوقوف بوجه هذا العدوان، وزوده بما يمكنه من صد هذا العدوان، وسنحاول في هذا المبحث تسليط الضوء على هذا المنهج الأقوم في مواجهة خطة الشيطان وكيده، ويمكن إجمال ذلك على النحو الآتي:

١. التمسك بالطريق القويم والصراط المستقيم.

ذكر نا فيما سبق ان الشيطان لما أعلن عن خطته في حرب الانسان، بيّن أنه سيكمن لهم على الصراط المستقيم، لذلك وجب على الانسان أن يكون دائما على حذر، وتشبث بالصراط، وقد جاءت النصوص القرآنية مبينة لهذا الأمر قال تعالى {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }[١]، أي هو المنهج القويم والدين المستقيم، الذي ارتضاه الله تعالى لعباده المؤمنين، فوجب أتباعه جملة وتفصيلا، ثم جاء النهي عن اتباع السبل، وهي الشرائع والعقائد والملل والنحل، المخالفة لدين الاسلام لأنها تميل بالمتبع لها عن الصراط المستقيم، كما قال تعالى { فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ }[٢]، فللحق طريق واحد وللباطل طرق كثيرة متفرقة متشعبة، لكثرة الأهواء واختلافها، وان الشيطان عامل على صرف الناس عن هذا الصراط المستقيم الى هذه الشعب المتفرقة[٣]، فاتباع ما جاءنا من عقائد، وأعمال، وأقوال، وعبادات، وتشريعات، وترك كل ما نهى عنه ، يجعل العبد في حرز من الشيطان[٤]. لذلك قال سبحانه وتعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}[٥]، يقول الله تعالى آمرا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله، أن ياخذوا بجميع تعاليم الاسلام، وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره، واجتناب ما يأمر به

---

[١] الانعام: ١٥٤.

[٢] يونس: ٣٢.

[٣] ينظر جامع البيان . ج٨ ص ٨٧، والتفسير الكبير . الرازي ج١٤ ص ٣، والتفسير الوسيط . محمد سيد طنطاوي . ج٥ ص ٢٩٩.

[٤] ينظر عالم الجن والشياطين . عمر سليمان الاشقر . ص ١١٥.١١٦.

[٥] البقرة: ٢٠٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشيطان، وطرائقه التي يزين بها المعاصي[1]، وقد جاء التعبير عن هذا المعنى بواسطة التصوير الفني، إذ عبّر عن الالتزام بجميع شرائع الاسلام ( بالدخول في السلم )، والدخول الى رحاب الشيء يعني الاستقرار والثبات، في ذلك المكان مع ما يواكب هذا الاستقرار والثبات من مشاعر الطمأنينة، والامن والتوازن النفسي، إذن الدخول في السلم يعني استعارة بما هو آمن ومطمئن ومتوازن، وهذا قمة ما يتطلع اليه الانسان، وهذه الاستعارة قد تبعتها في النص استعارة أخرى، كمّلت لنا أجزاء الصورة الفنية حيث عبّر عن طاعة الشيطان بـ (اتباع خطواته )، وكان يمكن للنص ان يقول ( لا تتبعوا الشيطان )، ولكنه خلع على هذه الظاهرة صفة ( الخطوات )، أي جعل للشيطان خطوات أو أرجلا تخطوا، وفي إكساب السلوك الشيطاني صفة ( المشي ) أو ( الخطوات )، ثم اتباع الانسان لتلكم الخطوات، سوف يكسب المعنى المقصود مزيدا من العمق، لأن اتباع خطوات الآخرين دون ان يفكر الانسان في الجهة التي يتحرك اليها، يعني تعطيلا لفكر الانسان وسلخه من دائرة العقل أساسا، وهذا ما يستهدف النص الاشارة إليه عن طريق هذه الاستعارة، فالنص عن طريق هاتين الاستعارتين ( الدخول )، و ( اتباع الخطوات ) قد بيّن ان الدخول في رحاب الاسلام يعني الاستقرار والثبات، اما اطاعة الشيطان فيقود الى التعب لأنها مشي بما تواكبه من مشاعر التمزق والتوتر، والقلق نتيجة الجهل بالجهة التي يتحرك إليها الشيطان، وهذا ما أفصحت عنه أيضا صيغة ( تتبعوا ) التي تشعر بالجهد والتعب في اتباع خطوات الشيطان[2]. إذن المنهج الأقوم في صد عدوان الشيطان هو في التمسك بالصراط المستقيم، وعدم الحيادة عنه، وهذا الصراط الحق يتمثل في الالتزام بكتاب الله، واتباع رسول الله ﷺ في قوله وفعله، وليعزم على سلوك هذا الطريق عزيمة من لايشك انه على الصراط المستقيم[3].

٢ـ الالتجاء الى الله: والمعلم الثاني في المنهج الذي رسمه القرآن للإعتصام من الشيطان، والتصدي لحربه يتمثل في اللجوء الى الله بالإستعاذة من شره، وخطره فقد أمرنا في آيات عدة أن نستعيذ به من الشيطان الرجيم، وهذه الاستعاذة حصن حصين نتحصن به من هذا العدو، المتربص بنا، قال تعالى {وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ }[4]، ففي هذه الآية أمر من الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ، أن يستعيذ من همزات الشياطين، وأن يستعيذ من حضورهم معه، فيفسدوا عليه أمره .

---

[1])ينظر تفسير القرآن العظيم . ابن كثير . ج١ ص ٢٤٨، وصفوة البيان لمعاني القرآن . الشيخ حسنين محمد مخلوف ص٤٩، وتيسير الكريم الرحمن . ص ٩٤.

[2])ينظر دراسة فنية في صور القرآن . د. محمود البستاني . ص ٥٢ . ٥٣، ودلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة . د. زهراء خالد سعد الله العبيدي ص ٢٥٩.

[3])ينظر اغاثة اللهفان . ابن قيم الجوزية . ج١ ص ١١٢.

[4])المؤمنون: ٩٧ . ٩٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويشار هنا الى ان رسول الله ﷺ معصوم من هذه الهمزات، ومع ذلك أمر بالدعاء لكي يزيد من التجائه الى الله تعالى . يقيه منها ولتعليم الأمة من بعده، وهذا هو المقصد الأهم . اللجوء الى الله . ليحصنهم من الشياطين، في جميع الأحيان فالاستعاذة هنا تضمنت ( استعاذة من مادة الشر كله وأصله، ويدخل فيها الاستعاذة من جميع نزغات الشيطان، ومن مسه ووسوسته، فإذا أعاذ الله عبده من هذا الشر وأجاب دعاءه سلم من كل شر ووفق لكل خير )[1] وهذه الاستعاذة تكون بمجرد أن ينزغ الشيطان الانسان بنزغه قال تعالى {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }[2]. ففي هذين النصين ارشاد للنبي ﷺ، بانه إذا غضب أو رغب في فعل ما لايحل بسبب الشيطان فعليه الاستعاذة بالله تعالى، من هذا الشيطان الذي قد يحمله على ارتكاب ما لاتحمد عقباه، وهذا ( الخطاب وإن خص الله به الرسول الاّ انه تأديب عام لجميع المكلفين )[3]، والنزغ في الحسيات هو النخس، والغرز بابرة أو نحوها، للإثارة والدفع لأمر ما، ويستعمل في المعنويات للدلالة على ما يشبه ذلك من وساوس مثيرة للغضب، ومهيجة للإنتقام، ونزغ الشيطان وساوسه وتسويلاته، وتزييناته التي يحمل بها الانسان على المعاصي[4]، وقد جاء الفعل (يَنزَغَنَّكَ)مؤكدا بنون التوكيد الثقيلة، للدلالة على ان النزغ قد بلغ مبلغ حدوث بدايات الغضب، وتحرك ثورته، إذا وصل المرء إلى هذا الحد وجب عليه اللجوء الى الله بالدعاء، في طلب الحماية والحفظ وصرف الشر والاذى، لأن الله هو الذي بيده مقاليد كل شيء في الوجود، وهو على ما يشاء قدير، لذلك فان من قام بواجبه كما أمره الله، واستعاذ به صادق النية، متضرعا له دخل في ملجأ الله، وفي دائرة عصمته وحمايته[5]، وقد ختم النصين بـ (السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) للإشارة الى مطلبين:.

١. أن تكون الاستعاذة بكلام مصحوب بصوت مهما كان خافتا ليسمع.

٢. أن تكون الاستعاذة مقرونة بنية صادقة، من عمق الفؤاد جديرة بأن تعلم بأنها عبادة لله، في سلوك قلبي، فإذا تحقق هذان المطلبان، وهما الاستعاذة بصوت، مع الاخلاص في القلب . أعاذه الله صارفا عنه ما يجد في نفسه من ذلك وما يجد في نفسه من أثره[6]. ومن هنا يمكن أن نفهم سر التعبير آية فصلت بقوله { إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }، في الوقت الذي جاء في سورة الأعراف دون ضمير الفصل ولام التعريف

---

[1])تيسير الكريم الرحمن . ص ٥٥٩، وينظر الاتباع أنواعه وآثاره في بيان القرآن ج٢ ص ٥٤٦.

[2])فصلت: ٣٦.

[3])التفسير الكبير . الرازي ج١٥ ص٨٠.

[4])ينظر المفردات في غريب القرآن . ص ٤٨٨، وتفسير القرآن العظيم . ج٢ ص ٢٩٠، ومعارج التفكر ودقائق التدبر . م٥ ص ١٢١.

[5])ينظر معارج التفكر . م٥ ص ١٢١.١٢٢.

[6])ينظر معارج التفكر . م٥ ص١٢٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

({إِنَّهُ سَمِيعُ عَلِيمُ}، والوجه ان ( التوكيد في قوله ( إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) في سياق هذه الافكار، أي هو وحده الذي له كمال قوة السمع، وإحاطة العلم، لا كما يظن به أعداؤه الجاهلون انه لايسمع، ان اخفوا، وانه لا يعلم كثيرا مما يعملون، وحسّن ذلك أيضا أن المأمور به في سورة فصلت، دفع اساءتهم إليه بإحسانه اليهم، وذلك أشق على النفوس، من مجرد الاعراض عنهم، ولهذا عقبه بقوله {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }[1]، فحسن التأكيد لحاجة المستعيذ )[2]، وثمة ملمح آخر هو ان هذه الزيادة في آية ( فصلت ) تنبيه مشدد باللجوء الى الله من كل نزغ شيطاني، لأن الله هو وحده في الوجود السميع العليم، فلا سميع في الوجود لكل شيء ولا عليم بكل شيء الاّ الله تبارك وتعالى ( دل على الحصر تعريف طرفي الاسناد، والتأكيد بضمير الفصل ( هو )، وأداة التعريف ( ال ) في ( السميع ) و ( العليم ) هي للكمال، الدالة على استغراق كل أفراد جنس السمع وكل أفراد جنس العلم وكل مستوياتهما )[3]، وفي ذلك ما فيه من تربية لحس المؤمن على مراقبة الله في هواجسه وهمساته، ولذلك فان الله سبحانه وتعالى . أثنى على الذين يلجؤون إليه ويستعيذون به فقال {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ}[4]. إن المرء قد تستزله المعصية أو يهم بها، وقد يغضب فيجهل، وكل هذه الأمور من الشيطان فيتذكر اليم العقاب، وجزيل الثواب ونعم الله عليه ( فيدعوه كل واحد من هذين الأمرين، الى الاعراض عن مقتضى الطبع، والإقبال على أمر الشرع )[5]، ونلمح في (طَائِفٌ )قراءتين فقد قرأ ابن كثير، وابو عمرو، والكسائي، ويعقوب ووافقهم اليزيدي والشنبوذي ( طيْف)وقرا باقي القراء العشرة ( طائف )[6]، والطائف هو الذي يحمل الوساوس، والدسائس والتسويلات التزيينية، فيطوف بها على النفوس، ويقذف بها في نفس فريسته، وهذا الحاصل لابد أن يكون شيطانا، والطيف التخيلات والرؤى النفسية التي قد يهيجها الشيطان ويستثيرها[7]، فبين القراءتين تكامل في الدلالة على المعنى المراد، والنص يعطينا صورة للمؤمنين الحريصين على حفظ أنفسهم، أنهم إذا مسهم الشيطان بالوسواس والدسائس، والتسويلات التزينية، وطاف عليهم بهذه المعاني أو بطيف يهيجه، ويستثيره في نفوسهم، تذكروا ربهم وسلطانه على جميع خلقه، فاستعاذوا به فأعاذهم فصرف عنهم نزغات الشيطان التي ربما ألقت غشاوة على بصائرهم[8]، وقد

---

[1])فصلت: ٣٥.

[2])بدائع التفسير . ج٢ ص ١٠١.

[3])معارج التفكر . م٥ ص ١٢٧.

[4])الاعراف: ٢٠١.

[5])التفسير الكبير . الرازي ج١٥ ص٨١.

[6])ينظر الميسر في القراءات الاربع عشرة . محمد فهد خاروف . ص ١٧٦.

[7])ينظر المفردات في غريب القرآن . ص ٣١١، ومعارج التفكر . م٥ ص ١٢٧.

[8])ينظر بدائع التفسير ج٢ ص ٣٢١، ومعارج التفكر م٥ ص ١٢٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دل النص على سرعة الفزع الى الله، إذ في التعبير بـ اذا مع الفعل مسهم دلالة على إصابة غير مكينة، وإشارة الى ان الفزع الى الله من الشيطان عند ابتداء المام الخواطر الشيطانية، بالنفس لأن تلك الخواطر إذا أمهلت لم تلبث أن تصير عزما ثم عملا[1]. وفي ختم الآية بقوله ( فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ) إضافة، ( معاني كثيرة الى صدر الآية ليس لها ألفاظ تقابلها هناك، إنه يفيد ان مس الشيطان يعمي، ويطمس ويغلق البصيرة، ولكن تقوى الله ومراقبته وخشية غضبه وعقابه، تلك الوشيجة التي تصل القلوب بالله، وتوقظها من الغفلة عن هداه، تذكر المتقين، فإذا تذكروا تفتحت بصائرهم، وتكشفت الغشاوة عن عيونهم (فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ) [2]. ثم جاء الأمر بالاستعاذة عند فعل قربة من أعظم القربات، الآ وهي قراءة القرآن يقول الله تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}[3]، والمعنى من وراء الاستعاذة عند ممارسة القراءة التي هي مجهود فكري، لئلا يلبّس على القارئ قراءته، ويخلّط عليه ويمنعه من التدبر والتفكر[4] والصورة في ذلك أن الانسان في كل ممارساته الفكرية، عليه أن يبتعد عن الوساوس الشيطانية وأن تكون ممارساته الفكرية، مجردة لله وحده، ولذلك كان رسول الله ﷺ اذا ابتدأ قراءته يقول: (( أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ) [5]، ذلك ان الشيطان ( أحرص ما يكون على العبد عند شروعه في الأمور الفاضلة، فيسعى في صرفه عن مقاصدها، ومعانيها، فالطريق الى السلامة من شره الالتجاء الى الله، والاستعاذة به فيقول القارئ ( أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ) متدبرا لمعناها معتمدا بقلبه على الله، في صرفه عنه مجتهدا في دفع وسواسه، وأفكاره الرديئة مجتهدا على السبب الأقوى في دفعه وهو التحلي بحلية الايمان والتوكل) [6].ولعلنا يمكن أن نعرف بعض الحكم، من الاستعاذة عند القراءة، هذه الحكم تتمثل في: .

١ـ أن القرآن شفاء لما في الصدور، مذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس، والشهوات والإرادات الفاسدة.

٢. ان الشيطان يجلب على القارئ بخيله ورجله، حتى يشغله عن المقصود بالقرآن، وهو تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به سبحانه، فيحرص بجهده على ان يحول بين قلبه، وبين مقصود القرآن فلا يكمل

---

[1])ينظر التحرير والتنوير . ابن عاشور . ج٩ ص ٢٣٢.

[2])في ظلال القرآن . سيد قطب . م٣ ص ١٤٢٠.

[3])النحل:٩٨.

[4])ينظر تفسير القرآن العظيم . ابن كثير . ج٢ ص ٥٠٧.

[5])أخرجه ابو داود من حديث ابي سعيد الخدري . رضي الله عنه . في كتاب الصلاة باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ج١ ص ٢٠٦.

[6])تيسير الكريم الرحمن . ص ٤٤٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انتفاع القارئ به فأمر عند الشروع أن يستعيذ بالله عزوجل.

٣ـ ان الشيطان أحرص ما يكون على الانسان، عندما يهم بالخير، أو يدخل فيه فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه[١].

إذن المعلم الثاني من معالم الاعتصام من الشيطان، هو اللجوء الى الله متمثلا في الاستعاذة من الشيطان وفي هذه الاستعاذة فائدتان:

الأولى: ان الاستعاذة بالله تعالى فيها لجوء الى الله تعالى، لينجو المرء من شر تلك الوسوسة، ذلك انه في الالتجاء الى الله والاعتصام به يندفع عن المرء شر هذا الشيطان، وشركه بل يحبب إليه الايمان ويزين في قلبه.

ثانيا: ان هذا اللجوء الى الله تعالى، يؤدي الى تذكر خطورة تلك الوسوسة، فيجاهدها ويتحفز لردها وهذا هو ديدن المتقين.

وهذه الاستعاذة لا تتحقق الاّ بالمداومة على ذكر الله، والقيام بأوامره، وهو ما أكدناه في المعلم الأول متمثلا بالثبات على الصراط.

٤. استشعار عداوة الشيطان حقيقة.

هذا معلم آخر من معالم التوجيه الرباني في التصدي للشيطان، في معركته الدائرة مع الانسان، وهذا المعلم يتمثل، في بناء فكر الفرد على ان الشيطان عدو له، وهذا يتطلب دوما التنبه والتهيء للمواجهة، لأن الانسان اذا عرف عدوه لم يغفل عنه، وهذه العداوة بدأت منذ إخراجه ـ لعنه الله ـ من الجنة بل منذ أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، عند ذلك قالِ {قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً }[٢]، وقد كان له ما اراد، مع انه لم يستخدم القوة في ذلك، أو السلطان، قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ ((والله ما كان له سيف، ولا سوط، ولكنه استمالهم فمالوا بتزينه ) [٣]، وحين يتأمل المرء تلك القصة العجيبة التي حصلت بين آدم ـ عليه السلام ـ، وبين ابليس لعنه الله يظهر له شيء واضح جلي الا وهو الأثر الفاعل لتلك العداوة الشيطانية، وان المرء يوم ان يغفل عن هذه الحقيقة يقع فريسة سهلة في شراك الشيطان، إن آدم كان يعرف تلك العداوة مع الشيطان، ومع ذلك استماله الشيطان اليه، فأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها، وما ذلك الاّ لكثرة تعرض ابليس له، وغفلته عن عدوه، وللإمام الرازي كلام جميل حول هذا المعنى، ننقله بنصه، اذ

---

[١])هذه بعض الفوائد والوجوه التي ذكرها ابن القيم وينظر كلاما طويلا له في بدائع التفسير ج٣ ص ٥٢ ـ ٥٧.

[٢])الاسراء: ٦٢.

[٣])المحرر الوجيز ـ ابن عطية ـ ج٣ ص ٤٦٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول رحمه الله ( واعلم ان واقعة آدم عجيبة، وذلك لأن الله تعالى . رغبه في دوام الراحة، وانتظام المعيشة بقوله:{ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى۞ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى۞ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى}[1]، ورغبه ابليس أيضا في دوام الراحة بقوله:{هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ }، وفي انتظام المعيشة بقوله{ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى }[2]، فكان الشيء الذي رغبه الله آدم فيه هو الذي رغبه ابليس فيه، الاّ ان الله تعالى وقف ذلك على الاحتراس عن تلك الشجرة، وابليس وقفه على الاقدام عليها، ثم إن آدم . عليه السلام . مع كمال عقله وعلمه بأن الله تعالى مولاه وناصره ومربيه، أعلم بأن ابليس عدوه حيث امتنع من السجود له، وعرض نفسه للعنة بسبب عداوته، كيف قبل في الواقعة الواحدة، والمقصود الواحد قول إبليس مع علمه بكمال عداوته له، واعرض عن قول الله تعالى مع علمه بانه هو الناصر والمربي؟ ومن تأمل في هذا الباب طال تعجبه!...) [3] وقد صدق رحمه الله، فان المرء لا ينقضي عجبه من التأمل في هذه الواقعة العجيبة فهذا آدم يقع في معصية الله تعالى، مع ان الله حذره من ذلك، ومن ثم يقع موافقة لأعدى أعدائه إبليس، ما ذلك الاّ للغفلة عن عداوة هذا المخلوق، لنا ذلك ان عداوته ثابتة وطبيعة علاقته بنا مبنية على العداء لنا، ولا يمكن تبديل أو تغيير هذه الحقيقة، ولا يمكن اجراء المصالحة بإزالة هذه العداوة، لأن الشيطان لا هم له، ولا غرض في حياته سوى إضلال الانسان، وصرفه عن الحق، ودفعه الى معصية الله تعالى، ومن أجل ذلك وصف الله تعالى الشيطان بأنه عدو للإنسان قال تعالى {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ }[4]، والله جل جلاله عندما يصفه بهذا الوصف، فهو وصف دقيق، ومطابق للشيطان، بكل ما تعنيه كلمة عدو، وليس في اطلاقها على الشيطان أي معنى مجازي، أو معنى فيه مبالغة، وإنما هو وصف دقيق واطلاق مطابق لواقع الشيطان ولطبيعته العدوانية للإنسان، وبالتالي وجب اتخاذه عدوا كما جاء في النص[5]، فقضية ( ان الشيطان هو عدو الانسان الأول ) هي حقيقة ثابتة على الانسان ان لايغفل عنها، وأن تكون حاضرة دوما نصب عينيه، فالعداء متأصل منذ أن خلق الله تعالى آدم، ويستمر ولا يكاد يفتر فإبليس تعهد بهذا العداء وتعهد باستخدام أساليبه ومداخله ووسائله في سبيل اغواء وإضلال بني آدم، عن طريق الحق وعن طاعة الله تعالى والانسان أيضا مأمور بأن يتخذ الشيطان وذريته أعداء، ليكتسب هذا العداء صفة الأصالة، وديمومة الاستمرار، وهذا معنى المعلم الرابع.

---

[1] )طه: ١١٧ . ١١٩.

[2] )طه: ١٢٠.

[3] )التفسير الكبير ج٢٢ ص ١٠٩.

[4] )فاطر: ٦.

[5] )ينظر المستفاد من قصص القرآن . ج١ ص ٤٥، وينظر الآيات المتعلقة بالصراع بين الشيطان والانسان . نيكاز صلاح الدين . ص ٩٥.٩٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥. معرفة خطورة هذا المخلوق.

وهذا معلم مهم في الحذر من هذا المخلوق، وذلك بمعرفة حقيقته وامكانياته، يقول ابن تيميه ( رحمه الله ): ( فأصل الشر عبادة النفس والشيطان، وجعلهما شريكين للرب، وأن يعدلا به، ونفس الانسان تفعل الشر بأمر الشيطان )[١]، ويقول رحمه الله أيضا:(فالشياطين لهم غرض فيما نهى الله عنه من الكفر، والفسوق، والعصيان، ولهم لذة في الشر والفتن يحبون ذلك وإن لم يكن فيه منفعة لهم، وهم يأمرون السارق أن يسرق ويذهبون الى أهل المال فيقولون فلان سرق متاعكم، ولهذا يقال القوة الملكية، والبهيمية، والسبعية، والشيطانية، فان الملكية فيها العلم النافع، والعمل الصالح، والبهيمية فيها الشهوات كالأكل والشرب، والسبعية فيها الغضب وهو دفع المؤذي، وأما الشيطانية فشر محض ليس فيها جلب منفعة ولا دفع مضرة )[٢]، وكشف حقيقة هذا المخلوق، ومداخله يكون عن طريق تدبر آيات القرآن فمعظم الاساليب، والوسائل والمداخل التي يستخدمها الشيطان موجودة في آيات القرآن المتفرقة، ولهذا أمرنا سبحانه وتعالى بتدبر القرآن قال تعالى {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[٣]، ويمكن للمؤمن المستيقظ أن يكشف خواطر الشيطان التي يقذفها الى الانسان، وذلك برفع الغطاء عن خواطر الشيطان، ويجب وزن هذه الخواطر بميزان الاسلام بما هو مقرر في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فإذا وجدنا أن هذه الخاطرة تدعو الى فعل الخير فهي من الله تعالى، أما إذا وجدنا ان هذه الخاطرة تدعو الى الشر والمعصية فهي من الشيطان، فنفهم من طبيعة هذا المخلوق انه، شر محض ولا يأمر الاّ بكل شر، وان مخططاته تتمثل في غواية بني آدم، وجرهم الى هذا الشر [٤] فهذا المعلم يتمثل في الوقوف على خطورة هذا المخلوق، وطبيعته عن طريق تدبر آياي القرآن.

٦. كيد الشيطان ضعيف ومهزوم.

هذا معلم لا يقل أهمية عن المعالم السابقة يتمثل في استيقان المؤمن أن كيد الشيطان مهما عظم فهو ضعيف، قال تعالى { فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً}[٥]، وان مكر الشيطان مهزوم لأنه يمثل الباطل، والباطل مهزوم في كل عصر وأوان، والمتدبر فيما عزم عليه الشيطان لتدمير البشر يجد أن أسلحته وإن كانت تبدو فتاكة، الاّ انها أسلحة محاصرة، ولا تصيب الأ من دخل في مرماها أو حام حولها، وإذا كان الله قد أعطى إبليس سلاحا، فانه تعالى أعطى للمؤمن السلاح الأقوى، وعلى سبيل

---

[١] مجموع الفتاوي ج١٤ ص ٣٦٢.

[٢] مجموع الفتاوي ج١٣ ص ٨٣.

[٣] محمد: ٢٤.

[٤] ينظر المستفاد من قصص القرآن . ج١ ص ٩٠. ٩٢.

[٥] النساء: ٧٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المثال فان الله تعالى أيد ابليس على الانسان بالإنظار الى يوم الوقت المعلوم، وأيد الانسان عليه بالملائكة الباقين ببقاء الدنيا، وايد إبليس بالتمكين بتزيين الباطل، وأيد الانسان بأن هداه الى الحق، وزين الايمان في قلبه، وفطره على التوحيد، وعرفه الفجور والتقوى، وجعل له نورا يمشي به في الناس، إن آمن بربه الى غير ذلك من الأيادي، وبعث إليه الرسل والانبياء بهداية التشريع الذي يحمي الله تعالى به عبده الصالح المجتنب عما يسخطه ويكرهه، عن مضار الدنيا، ويجنبه عن مضلات الفتن، ويلطف به الطافا ظاهرة أو خفية حتى يخرج من الدنيا سالما دينه، راضيا عنه ربه. فبناءا على هذا فان معسكر الشيطان مهزوم مهزوم، ولقد هزم في كل عصر، هزم يوم أن قتل ابن آدم الأول أخيه بحجر، وسيهزم بعد ان قتل الأخ أخاه، بكل اسلحة الفتك التي تفتق عنها ذهن الشيطان. إن هزيمة الباطل .كما أسلفنا . في كل عصر هي عنوان الحق الأصيل في الوجود ودعوة للسائرين في طريق الانحراف كي يصححوا مسارهم، ويعلموا ان الباطل طارئ لا أصالة فيه، وانه مطارد من الله ولا بقاء لشيء يطارده الله، والفقه الشيطاني هزمه الله في كل عصر من العصور، وكانت هزيمته عنوانا لانتصار الحق ودعوة للسائرين في الظلام، كي يخرجوا من خيام ضربت عليها الهزيمة في الحياة الدنيا، ولها في الآخرة عذاب اليم، الى رحاب الكون الذي يتنفس بمخزون الفطرة، ويدور في اتجاه واحد نحو غاية واحدة[1]، إذن هذا المعلم يعطينا الثقة بالنفس في مواجهة كيد الشيطان، وأولا وأخيرا فان الشيطان يعتمد على نقاط الضعف لدى الانسان فيزين له الشر بطرق معينة تناسب ضعفه، ثم يطيعه المرء وهو لا يشعر بذلك ويمكن رد هذا الكيد بما أسلفنا من معالم للمنهج القرآني، في التصدي لحرب الشيطان عن طريق تقوية الصلة بالله تعالى، ودوام الذكر على كل حال، وكثرة تلاوة القرآن، وملازمة الصالحين، واستشعار الثقة بالقدرة عليه، وبضعف كيده فأنها أعظم الأمور في مدافعة هذا العدو.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيراً

والحمد لله رب العالمين

د. سيف صفاء عبد الكريم الدوري

العراق ٢٠١٥م

[1])ينظر الانحرافات الكبرى . سعيد أيوب . ص ٢٤.٢٥، والمستفاد من قصص القرآن . ج١ ص ٧٠. ٧١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

## الفهرس

الفصل الأول ..... ٣
الشيطان لغة واصطلاحاً ..... ٣
الفرع الأول: ـ الشيطان وابليس لغة: ..... ٣
الفرع الثاني: ـ الشيطان وابليس اصطلاحا: ..... ٤
الفرع الثالث:ـ ابليس والشيطان في القرآن الكريم: ..... ٦
الفرع الرابع:ـ الحكمة من جعل الشيطان عدوا للإنسان: ..... ١١
الفصل الثاني ..... ١٣
صور الصراع بين الانسان والشيطان ..... ١٣
المطلب الثاني ..... ٣٤
أصالة الصراع واستمراره ..... ٣٤
التحصن من كيد الشيطان ( سبل الخلاص من هذا الصراع ) ..... ٥٩